أُمّة

النبي المصطفى الكريم ﷺ

الطبعة الأولى

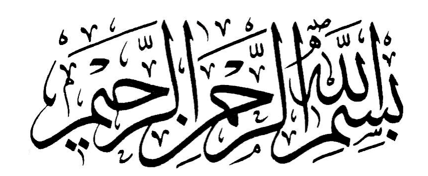
١٤٢٥ هـ

المدرسة المدنية
(١٧)

أُمِّيَّة

النبي المصطفى الكريم ﷺ

بقلم
أ.د. خليل إبراهيم مُلّا خاطر العزّامي
أستاذ الحديث وعلومه
بجامعة طيبة بالمدينة المنورة


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل في محكم التنزيل :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ... ﴾.

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ... ﴾.

وقال رسول الله ﷺ :

« إذا أنتم صليتم عليَّ فقولوا : اللهم صلِّ على محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آل محمد ،... » الحديث ، رواه أحمد وأبو داود والنسائي وعبد بن حُميد والطبراني في آخرين ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي ، وقال الدارقطني والبيهقي : هذا إسناد حسن متصل .

« أنا محمد النبي الأمي - ثلاثاً - لا نبي بعدي ،... » الحديث ، رواه أحمد ، بأسانيد ، وحسنه المنذري والسخاوي والهيثمي ، وصحح الشيخ أحمد شاكر إسنادين ، وحسَّن الثالث .

« إنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ، لا نكتب ولا نحسب ،... ». الحديث ، متفق عليه .

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمٰن الرحيم ، مٰلك يوم الدين ، اصطفى بعضَ خلقه فجعله خيرَهم ، وخصَّ بعضَهم بخصائص دون سواهم ، فقال عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ ﴾[2] وقال جل شأنه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[4].

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، الذي جعله الله سبحانه وتعالى خِيرةَ الخِيَرة ، وسيدَ ولد آدم ، المخصوصَ بالخصائص العظام ، والمكرَّمَ بالمزايا الكرام ، إمامَ الرسل ، وخاتمَ الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، والمصطفى من الخلق ، النبي الأمي ،... صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته الأبرار ، وآل بيته الأطهار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار ، القائل ـ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ : « ما مِنَ الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشرُ ، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[5].

---

(١) سورة الأنعام (١٢٤).

(٢) سورة الشورى (١٣).

(٣) سورة آل عمران (١٧٩).

(٤) سورة آل عمران (٧٤) وانظر سورة البقرة (١٠٥).

(٥) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كيف نزل الوحي . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، رقم (٢٣٩).

ولهذا منح الله سبحانه وتعالى كلَّ رسول من رسله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام معجزةً خاصة به ، سواء كانت ماديةً أو معنويةً ، ساكنةً أو متحركةً ، علويةً أو سفليةً ،... تتناسب مع وضعِ وحالةِ ومكانة المجتمع الذي يعيش فيه كلُّ رسول .

وهذه المعجزات والخصائص تبقى ملازمةً لذلك النبيِّ أو الرسولِ ، ومتكررةً كلما احتاج إليها ، لأنها سِمَةٌ لهم ، وعلامةٌ على صدقهم ، وبرهانٌ على دعواهم ،...

فعصا موسى عليه السلام ـ منذ أن طلب الله سبحانه وتعالى منه أن يلقيها عند خروجه من أرض مَدْين فإذا هي حية تسعى ، ثم أُمر بأخذها فعادت عصاً ـ : ألقاها أمام فرعون فإذا هي حية تسعى كالمرة الأولى ، وألقاها أمام السحرة ـ بعدما ألقَو عصيَّهم وحبالَهم وسحروا أعينَ الناس واسترهبوهم ـ فتلقَّفَتْ ما سحَروا ، وضرب بها الصخرةَ فانفجرت عيونُ الماء ، وضربَ بها البحرَ عند عودته إلى فلسطين مرة ثانية فانفلق فصار طريقاً يبساً ،...إلخ.

ومعجزاتُ عيسى عليه السلام ؛ من إبرائه الأكمه والأبرص ، وإحيائِه الموتى ،... وكل ذلك بإذن الله تعالى ، وجعلِه من الطين كهيئة الطير ،...إلخ.

وناقة صالح عليه السلام تشرب الماءَ كلَّه يوماً وتعطيهم من الحليب ما يكفيهم يومهم ذلك ، ويشربون هم الماءَ يوماً ،... وبقيت هكذا حتى عقرها أشقاهم .

وهكذا يقال في سائر الآيات التي أُعطيها الأنبياءُ السابقون على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ معجزاتٍ وخوارقَ

وخصائصَ زادت على المئات ، كما بينتُ ذلك في (الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام) وفي (الأمانة العظمى ونبيها ﷺ) وغيرهما .

وكلُّ المعجزات ـ التي خصَّ الله سبحانه وتعالى بها أنبياءَه السابقين ، وكذا رسولنا المصطفى الكريم عليه وعليهم الصلاة والسلام : هي آنيَّةٌ وقتيةٌ ، وقد انتهت بانتهاء الرسل عليهم السلام ، أو بانقضاء وقتها ، إلا ما كان مِن رسول الله ﷺ في معجزته الكبرى القرآن الكريم ، كما سيأتي بيانه ـ إن شاء الله تعالى ـ فإنها باقية مستمرة .

ومن جملة الخصائص التي خصَّ الله سبحانه وتعالى بها رسولَه ونبيَّه المصطفى الكريم ﷺ عن سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام أن جعل أوصافَه وعلاماتِه موجودةً في الكتب السماوية السابقة ، وأوحى بها إلى الرسل السابقين عليهم السلام ، فأَخبروا بها أُممَهم وأقوامَهم . وبقيت فيها تتناقلها تلك الأقوام إلى زمان بعثة النبي المصطفى الكريم ﷺ ، كما أن بعضَها موجودٌ في كتبهم إلى يومنا هذا ، وإن حاولوا طمْسَ ذلك ، أو تغييره ، أو تحويره...

وقد ذكر لنا القرآن الكريم تلك الصفات ؛ سواء كان على سبيل الإجمال ، أو على سبيل التفصيل .

كما جاء ذكرُ بعض تلك الصفات على لسان الأحبار والرهبان من أهل الكتب السماوية السابقة . أقتصر على ذكر مثال واحد ، ذُكر فيه بعضُ صفاته ﷺ ، وهي موجودة في الكتاب القديم ، ونطق بها راهب من كبار رهبان النصارى الصالحين .

ففي قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ، وانتقالِه من راهب

إلى راهب ، حتى كان عند صاحب عمورية ، فلما حضرته الوفاة ، أوصى سلمانَ رضي الله عنه بقوله : [أي بني ، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحدٌ من الناس آمرك أن تأتيَه ، ولكن قد أظل زمانُ نبيٍّ ، هو مبعوثٌ بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُهُ إلى أرض بين حَرَّتَيْن ، بينهما نخلٌ ، به علامات لا تخفى : يأكل الهديةَ ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتمُ النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل...].

ثم ذكر قصة انتقاله إلى الحجاز ، والغدر به ، وشراء اليهودي له ، وسماعه خبر مجيئه ﷺ إلى المدينة ، وقصة إسلامه ، واكتشافه الخصلتين ،...

وفي آخر الحديث قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحابٌ لك غرباء ؛ ذو حاجة ، وهذا شيءٌ كان عندي للصدقة ، فرأيتُكم أحقَّ به من غيركم . قال : فقربتُه إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « كُلوا » وأمسك يَدَه ، فلم يأكل . قال : فقلتُ في نفسي : هذه واحدة .

ثم انصرفتُ عنه ، فجمعتُ شيئاً - وتحوَّل رسول الله ﷺ إلى المدينة - ثم جئتُ به ، فقلتُ : إني رأيتك لا تأكل الصدقةَ ، وهذه هديةٌ أكرمتُك بها . قال : فأكل رسولُ الله ﷺ منها ، وأمر أصحابَه فأكلوا منها . قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان .

قال : ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد ، وقد تبعَ جنازةً من أصحابه ، عليه شملتان له ، وهو جالس في أصحابه ، فسلَّمتُ عليه ، ثم استدبرتُه ؛ أنظر

إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصَفَ لي صاحبي ، فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبرتُه ؛ عرف أني أستثبتُ في شيءٍ وُصف لي ، قال : فألقى رداءَه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فانكببتُ عليه أُقَبِّله وأبكي ، فقال لي رسولُ الله ﷺ : « تحول » فتحولتُ ، فقصصت عليه حديثي ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن سعد وابن إسحٰق وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير والبزار والبيهقي وأبو نعيم وأبو الشيخ والخطيب البغدادي وابن حبان وغيرهم من طريقين ، أحدهما من طريق ابن إسحٰق ، عن عاصم ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما به . وهؤلاء كلهم من رجال الصحيح ، وقد صرح ابنُ إسحٰق بالتحديث ، وصححه عددٌ من الأئمة . وثانيهما رجالها رجال الصحيح أيضاً .

كما ورد من حديث بُرَيْدَة بن الحَصيب رضي الله تعالى عنه برجال الصحيح أيضاً[1].

ففي هذا النص الكريم أمور كثيرة ، يهمني منها :

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٤٣٨ ، ٤٤١ – ٤٤٤) والطبقات الكبرى (٤ : ٧٥ – ٨٠) والسير والمغازي (٨٧ – ٩١) والسيرة النبوية لابن هشام (١ : ٢٤٧ – ٢٥٢) بشرح الروض الأنف ، ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٣٢١ – ٣٢٤) والمعجم الكبير (٦ : ٢٧٢ – ٢٧٧) وكشف الأستار (٣ : ٢٦٨ – ٢٦٩) والشمائل للترمذي (٤٤ – ٤٥) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٣٩ – ٣٤٧) وحلية الأولياء (١ : ١٩٥ ، ١٩٠ – ١٩٥) وأخبار أصبهان (١ : ١٤٩) ولم يسق لفظه ، وصحيح ابن حبان (٩ : ١٢٧ – ١٢٨) والسيرة النبوية له (٢٤١ – ٢٤٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٨٢ – ١٠٠) وطبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ (١ : ٥١ ، ٥٤ ، ٢٠٩ – ٢١٧) وتاريخ بغداد (١ : ١٦٤ – ١٦٩) وسير أعلام النبلاء (١ : ٥٠٦ – ٥١١) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٣٢ – ٣٣٦) وقال : رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح غير محمد بن إسحٰق ، وقد صرح بالسماع ، ورجال الثانية عند أحمد رجال الصحيح غير عمرو بن أبي قرة الكندي وهو ثقة . وانظر أسد الغابة (٢ : ٢٦٥ – ٢٦٧) السيرة النبوية لابن كثير (١ : ٢٩٦ – ٣٠٧).

أ ـ كونه ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام ، فلو كان على دين غيره لم يكن هو المطلوب .

ب ـ هو مبعوثٌ ، وخارجٌ بأرض العرب ، فلو خرج في غيرها لم يكن هو المطلوب .

ج ـ يكون مُهاجَرُه ﷺ إلى أرضٍ بين حَرَّتَيْن ، بينهما نخلٌ ، فلو هاجر إلى غيرها لم يكن هو المطلوب .

د ـ علاماته ﷺ لا تخفى ، فلو كانت غير موجودة ، أو كانت موجودةً لكن خفيت لم يكن هو المطلوب .

هـ ـ من خصائصه وعلاماته التي ذكرها صاحبُ عمورية لسلمان رضي الله عنه أنه ﷺ يأكل من الهدية ، فلو كان لا يأكل منها لم يكن هو المطلوب .

و ـ ومن علاماته ﷺ التي ذكرها له أيضاً أنه ﷺ لا يأكل من الصدقة ، فلو كان يأكل من الصدقة لم يكن هو المطلوب أيضاً .

ز ـ ما فعله سلمان رضي الله عنه من استخباره لهاتين الخصلتين . حيث جاء في اليوم الأول ـ عند سماعه بقدوم النبي المصطفى الكريم ﷺ المدينةَ ـ بتمرٍ ، وقال للنبي المصطفى الكريم ﷺ : هذه صدقةٌ . فلم يأكل منها ﷺ ، بل دفع ذلك لأصحابه رضي الله عنهم ، فعرف سلمانُ رضي الله عنه الخصلةَ الأولى ، ثم جاء في اليوم الآخر بتمر آخر ، وقال للنبي المصطفى الكريم ﷺ : إني رأيتك لا تأكل من الصدقة ، وهذه هديةٌ مني . فتناول النبي المصطفى الكريم ﷺ منها تمرةً ، ثم دفعه لأصحابه رضي الله عنهم ، فعرف سلمان رضي الله عنه الخصلةَ الثانيةَ .

فهل علم النبيُّ المصطفى الكريم ﷺ ما في نفس سلمان رضي الله عنه ، وما دار بينه وبين راهب عمورية قبل سنوات ؟ أم هي سجيتُه التي جبله الله تعالى عليها ، حتى كان ذلك علامةً على صدقه ، وبرهاناً على نبوته بأبي هو وأمي ﷺ . إي والله ، إنها علامةٌ سابقةٌ ، وهي ثابتة له بذلك أيضاً .

ح ـ ومن علاماته ﷺ التي ذكرها صاحبُ عموريةَ لسلمانَ رضي الله عنه : وجودُ خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ . وهذا أمرٌ مخفيٌّ تحت الثياب ، ولا يمكن الوصول إليه بسهولة ، فلو لم يكن الخاتم موجوداً لما كان هو المطلوب .

ط ـ استخبار سلمان رضي الله عنه لهذا الخاتم . بما فعله من استدارته خلف ظهره ﷺ ، وكشف النبي المصطفى الكريم ﷺ رداءه ، حتى رأى سلمانُ رضي الله عنه الخاتمَ ، كما وُصف له ، فأكب عليه يُقَبِّلُه ويبكي .

ي ـ كل ذلك كان موجوداً في الكتاب القديم ، وحدَّثه صاحبُ عموريةَ لسلمان رضي الله تعالى عنه ، فلم ينخرم منه شيء ، ولكن أهل الكتاب يحاولون طمسَه وتغييرَه ، حسداً وبغضاً واستكباراً ،...

فلو كان شيءٌ من ذلك تخلَّف عن وجوده ، أو لم يجده سلمانُ رضي الله عنه كما وُصف له ، أكان يقع التصديقُ في نفسه ؟ .

إن زوال خصلةٍ واحدة من هذه الخصال التي ذكرها صاحبُ عموريةَ لسلمانَ رضي الله عنه عند فراقه له تجعل الشكَّ في نفس سلمان رضي الله عنه ، أنه ليس هو . خاصة الصفات الرئيسية : وهي خاتم النبوة ، إذ إن سلمان رضي الله عنه بعد أن استثبت من كل الصفات ـ عداها ـ لم يُسلِّم ، حتى استخبر عن هذه الصفة ، فلما رآها على وفق ما عنده من عِلْمِها : أكبَّ على رسول الله ﷺ يُقَبِّله ويبكي ، وأسلَم بين يديه .

وهذا ما حصل مع أحبار يهود ورهبان النصارى فعلاً ؛ الذين يعلمون ذلك ، وأراد الله سبحانه وتعالى بهم الخير .

ولهذا لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ المنورةَ ورآه ابن السّعْنة ـ وهو حَبر من كبار أحبار يهود ـ نظر في جميع الصفات الموجودةِ عنده في التوراة عن النبي الكريم ﷺ ، والتي قد عَلِمَها ، وطبَّقَها على النبي الكريم ﷺ ، فرآها كلَّها سوى خصلتين وهما : (يسبق حلْمُه جهلَه ، ولا يزيدُه شدةُ الجهل عليه إلا حلماً) فأراد أن يتعرف على هاتين الخصلتين . وهاتان الخصلتان لا تظهران بمجرد النظر ، إنما هي بالتجربة والبرهان .

فلما اشترى رسولُ الله ﷺ منه التمرَ إلى أجل ـ في قصة طويلة ـ جاء قبل حلول الأجل بيومين أو ثلاثة ، إلى رسول الله ﷺ وهو في جنازة رجل من أصحابه ، وأخذ بمجامع قميصه وردائه ، ونظر إليه بوجه غليظ ، وهو يقول أعطني حقي يا محمد ، فوالله ما علمتُكم يا بني عبد المطلب إلا مُطل ،... فهَمَّ عُمرُ رضي الله عنه بقتله . فنظر رسول الله ﷺ إلى عُمَرَ رضي الله تعالى عنه في سكون وتؤدة وتبسم ، ثم قال : « أنا وهو كنا أحوجَ إلى غير هذا منك يا عمرُ ، أن تأمرَني بحسن الأداء ، وتأمرَه بحسن التِّباعَةِ ، اذهب به يا عمر ، فاقضه حقَّه ، وزده عشرين صاعاً مكان ما رِعْتَه ».

قال زيد : فذهب بي عمرُ فقضاني حقي ، وزادني عشرين صاعاً من تمر ، فقلت : ما هذه الزيادة ؟ فقال : أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدَك مكان ما رِعْتُك . فقلت : أتعرفني يا عمر ؟ قال : لا ، فمن أنت ؟ فقلت : أنا زيد بن سُعْنة . قال : الحَبْر ؟ قلت : الحَبْر . قال : فما دعاك أن تقولَ لرسول الله ﷺ ما قلتَ ، وتفعل

به ما فعلتَ ؟ قلت : يا عمر ، كلُّ علامات النبوة قد عرفتُ في وجه رسول الله ﷺ حين نظرتُ إليه ، إلا اثنتين لم أَخْبَرْهما منه ؛ يسبق حلمُه جهلَه ، ولا يزيده شدةُ الجهل عليه إلا حلماً . فقد أخبرتُهما ، فأُشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ـ ﷺ ـ نبياً ،... الحديث . ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ ، وشهد أمامه .

ثم لازم رسول الله ﷺ ، وشهد مشاهد كثيرةً ، حتى قيل : إنه قُتل يوم غزوة تبوك شهيداً ، مقبلاً غير مدبر ، رضي الله عنه . كما رواه ابن حبان والحاكم ـ وصححاه ـ وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل ، والطبراني برجال ثقات ، وأبو الشيخ وغيرهم . وحسَّنه الحافظ المزِّي ، وللحديث شاهدان [1].

وهكذا شأن جميع أحبار يهود الذين أسلموا بين يدي رسول الله ﷺ ، حيث طبَّقوا ما عرفوا من أوصافه ﷺ ، والتي كانت التوراة قد ذكرَتها ، فلما رأوها ظاهرة عياناً ، وعرفوها فيه ﷺ بادروا بإسلامهم[2].

والذين لم يسلموا إنما حملهم الحقدُ والبغضُ مع إقرارهم باتصافه ﷺ بها

---

(١) صحيح ابن حبان (١ : ٥٢١ – ٥٢٤) والمستدرك (٣ : ٦٠٤ – ٦٠٥) والمعجم الكبير (٥ : ٢٥٣ – ٢٥٥ رقم ٥١٤٧) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ١٠٨ – ١١٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٧٨ – ٢٨٠) وأخلاق النبي ﷺ : باب ما ورد في كظمه الغيظ وحلمه ﷺ (٧٢ – ٧٤) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٣٩ – ٢٤٠) والإصابة (١ : ٥٦٦) وتهذيب الكمال (٧ : ٣٤٤ – ٣٤٧) والاستيعاب (٢ : ١٢٢) وأُسد الغابة (٢: ١٣٦ – ١٣٧) ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٨٠ – ٢٨١) والطبقات الكبرى (١: ٣٦١) لبيان الشاهدَين .

(٢) انظر قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه : صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب (٥١) حدثني حامد بن عمر ، وفتح الباري (٧: ٢٥٢) أيضاً . وانظر دلائل النبوة للبيهقي ولأبي نعيم ، وما كتبته في السيرة النبوية ، فهو كثير .

تمام الاتصاف . سواء تعلَّلوا بتعليلات واهية ، أو لم يتعلّلوا ، إنما هو الحقد والعداوة .

فمثال المتعنت المتعلِّل :

عن الفلتان بن عاصم رضي الله عنه قال : كنا قعوداً مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى رجل في المسجد ، فقال : « يا فلان » فقال : لبيك يا رسول الله ـ قال : ولا ينازعه في الكلام إلا قال : يا رسول الله ـ فقال النبي ﷺ : « أتشهد أني رسولُ الله ؟ » قال : لا . قال : « أتقرأ التوراةَ ؟ » قال : نعم ، والإنجيل . قال : « والقرآن ؟ » قال : والذي نفسي بيده لو أشاء لقرأتُه . قال : ثم ناشده « هل تجدني في التوراة والإنجيل ؟ » قال : أجد مثلَك ، ومثلَ هيأتك ، ومثلَ مخرجك ، وكنا نرجو أن يكون منا ، فلما خرجتَ تحيَّرْنا أن يكون أنت ، فنظرنا فإذا ليس أنت هو ، قال : « ولم ذاك ؟ » قال : إن معه من أمته سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ومعك يسير . قال : « فوالذي نفسي بيده ، لأنا هو ، وإنهم لأمتي ، إنهم لأكثرُ من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً ». رواه الطبراني في الكبير والبزار برجال ثقات ، ورواه ابن حبان بإسناد حسن ، وابن أبي شيبة ، والبيهقي[1].

فلما فقد خصلة ـ على زعمه ، مع أن ذلك في بدء الدعوة في المدينة ، ولم يكن قد أسلم كلُّ الخلق ـ أنكر ، حتى أخبره ﷺ بذلك ، ولكنه أصرَّ على ضلاله وحقده وحسده .

وأما الحقد والعداوة :

فهو كثير أيضاً [2] لكن يوضحه قصة ابنَيْ أخطب اليهوديين .

---

(١) المعجم الكبير (٨ : ٣٣٢ – ٣٣٤ رقم ٨٥٤ ، ٨٥٥) وكشف الأستار (٤: ٢٠٧ – ٢٠٨ رقم ٣٥٤٤) وصحيح ابن حبان (١٤: ٥٤١ – ٥٤٢) ط شعيب ، ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٥٧٣) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٤٢) (١٠ : ٤٠٧ – ٤٠٨) والمطالب العالية (٤ : ٣٠ – ٣١ رقم ٣٨٨١).

(٢) إنما كان من كفار قريش الذين لم يسلموا حتى قتلوا : إنما حملهم الحقد والحسد ، ولم يكونوا يعلمون =

فعن صفيةَ بنتِ حُيَي رضي الله عنها ، في قصة ذهاب أبيها : حُيَي بن أَخطب وعمِّها : أبي ياسر إلى النبي الكريم ﷺ عندما قدم المدينة - وذلك قبل إسلامها - قالت رضي الله عنها : فلما رجعا ، سمعتُ عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي : حُيَي بنِ أَخْطب : أَهُوَ هُوَ ؟ قال : نعم والله . قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوتُه والله ما بقيتُ أبداً . رواه ابن إسحٰق وأبو نعيم والبيهقي[1] .

وهكذا شأن كافة أحبار يهود ؛ الذين عرفوا الحق ثم تنكبوا عنه ، وأعرضوا حسداً وبغضاً وعداوةً . كيف وقد أخبرنا الله عز وجل أنهم قد عرفوا رسولَه المصطفى الكريم ﷺ ، كما كانوا يعرفون أبناءَهم ، ولكنهم كفروا عناداً وجحوداً .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] .

وقال جل شأنه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وبعض الأوصاف التي اتصف بها رسولُ الله ﷺ - وهي موجودة في التوراة والإنجيل - قد جاء ذكرُها في القرآن الكريم أيضاً . كما أن كثيراً منها جاء ذكرُه في أقوال الأحبار والرهبان من أهل الكتاب ؛ نطقوا بها قبل بعثته ﷺ ، بل قبل ولادته

= بصفاته ﷺ من قبل فكتموها ، والله تعالى أعلم .

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢ : ٢٥٧ - ٢٥٨) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٨٩ - ٩٠) وللبيهقي (٢ : ٥٣٣).

(٢) سورة البقرة (٨٩).

(٣) سورة البقرة (١٤٦).

ﷺ . وطبَّقها على رسول الله ﷺ مَنْ أدركه منهم ورآه ، فرآها حقاً وصدقاً ، لذا آمن من كتب الله تعالى له السعادةَ ، وكفر من كُتب عليه الشقاوةُ والحِرْمانُ .

ومن تلك الأوصاف التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى :

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1] .

فلو كان اسمه ﷺ غير محمد أو أحمد ـ كما هو شأن الكذابين الذين ادعوا النبوة ـ لكان مغايراً لما أخبر به عيسى عليه السلام وبشَّر به . ومع هذا لما جاء ﷺ ، وهو المبشَّرُ به على وِفق ما وُصف وذُكر ؛ قال الكفرة من اليهود : ﴿ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

فقد وصف الله سبحانه وتعالى رسولَه المصطفى الكريم ﷺ في هذه الآية الكريمة بتسع صفات هي[3]:

١ـ كونه ﷺ رسولاً .

٢ـ كونه ﷺ نبياً . وبين الرسول والنبي عموم وخصوص من وجه .

---

(١) سورة الصف (٦).

(٢) سورة الأعراف (١٥٧).

(٣) انظر تفسير الرازي (١٥ : ٢٢ – ٢٥) وغرائب التفسير للنيسابوري (٩ : ٦١ – ٦٤) وغيرهما .

ـ فقد يكون رسولاً ، ولا يكون نبياً ، كما هو الحال في الملائكة المرسَلِين إلى الرُّسُل من البشر . كما قال تعالى : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[1] وقال جل شأنه : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2].

ـ كما قد يكون نبياً ولا يكون رسولاً ، كما هو الحال في كثير من الأنبياء عليهم السلام .

ـ وقد يجمع بين النبوة والرسالة ، كما هو الحال في الذين ذكرهم الله سبحانه و تعالى في القرآن الكريم ؛ من لدن نوح حتى نبينا المصطفى الكريم ﷺ .

لذا فذكر أحد الوصفين على الإطلاق لا يكون مغنياً عن الآخر .

فلما جمع الله سبحانه وتعالى له ﷺ بين الوصفين : دل على رِفعَةِ قدرِه ، وعلُوِّ منزلته ﷺ عند الله عز وجل .

٣ ـ كونه ﷺ أُمِّيّاً ، لا يقرأ ولا يكتب . وهذا من جملة معجزاته ﷺ ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

٤ـ وجودُ نعتِه ، وصفةِ نبوته ﷺ ، وأنه مكتوبٌ في التوراة والإنجيل ، لأن ذلك لو لم يكن مكتوباً عندهم لكان ذكرُ هذا الكلام من أعظم المنفِّرات لليهود والنصارى عن قبول قوله ﷺ ، فلما قال ذلك دل على أن هذا النعتَ (وهو كونه ﷺ أُمِّيّاً لا يقرأ ولا يكتب) كان مذكوراً في التوراة والإنجيل ، كما دل ذلك على أنه من أعظم الدلائل على صحة نبوته ﷺ ، وإلا لو كان مغايراً لما عندهم ، وأنه يَكتب ويَقرأ : لأنكروا نبوتَه ورسالتَه ﷺ أشدَّ الإنكار ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة فاطر (١).

(٢) سورة الحج (٧٥).

٥ ـ كونه ﷺ يأمرهم بالمعروف .

٦ ـ كونه ﷺ ينهاهم عن المنكر .

٧ ـ كونه ﷺ يُحِلّ لهم الطيباتِ التي تستطيبها النفسُ ، ويُبَيِّن لهم المحللات .

٨ ـ كونه ﷺ يُحَرِّم عليهم الخبائثَ ، التي تستخبثها الطباعُ ، وتستقذرها النفوسُ .

٩ـ كونه ﷺ يضع عنهم الإصْرَ ـ وهو الثقل ـ الذي يَأْصر صاحبَه ـ أي يحبسه عن الحراك لثقله ـ والأغلالَ ـ أي الشدائد التي كانت عليهم ـ لما في شريعتهم من الشدائد في العبادات وغيرها ، كقطع أثر البول ، وقتل النفس في التوبة ، وقطع الأعضاء الخاطئة...إلخ.

هذه الصفات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ، وأخبر جل شأنه أنها موجودةٌ في التوراة والإنجيل . هي قطعاً موجودةٌ في الكتب السابقة ـ لإخبار الله تعالى بذلك ، وأنه تعالى منزِّلها في تلك الكتب ـ ويعلمها علماء اليهود والنصارى ؛ من أحبار ورهبان ، لوجودها في كتبهم ، فلو تخلفت صفةٌ من هذه الصفات فلم تكن موجودةً في رسول الله ﷺ لكان ذكرها في القرآن الكريم حجةً لهم على إنكار نبوته ﷺ ، لمنافاة ذلك لما عندهم .

كما أن ذكرَها في كتاب الله تعالى ، وإخبارَه بأنها موجودةٌ في التوراة والإنجيل : دلالةٌ على أنها صفاتٌ قديمة فيه ﷺ ، أكرمه الله تعالى بها ، وذلك لأن وجود التوراة والإنجيل كان قبل وجوده ﷺ في عالم الدنيا ، ومع هذا فقد جاءت تلك الأوصاف وغيرها كثير فيهما ، مما يدل على أنها صفاتٌ لازمةٌ ثابتةٌ باقيةٌ مستمرةٌ فيه ﷺ ، فلو تخلَّفت كان دليلاً للكفار على نفي نبوته ﷺ .

كما أن وجودَ ذكر تلك الصفات في التوراة والإنجيل : جعل الأحبارَ والرهبان يبحثون عنها في رسول الله ﷺ ، إضافةً إلى الصفات الخَلْقية والخُلُقية الأخرى ، فلما وجدوها فيه آمن منهم من آمن طواعيةً ، وكفر من كفر وشقي منهم جحوداً وعناداً ؛ مع اعترافهم بأنه هو ﷺ المنتَظَرُ ، والمبشَّرُ به .

كما أن هذه الصفات ـ ومن جملتها ؛ كونه ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ـ لا بد أن تكون باقية معه ﷺ حتى آخر حياته ، فلا يصح أن يتصف بها أول حياته ثم تزول عنه ، لأن هذه الصفات سماتٌ جليلةٌ ، وركائزُ مهمةٌ ثابتةٌ في دعوته ، وأساسٌ في شخص نبوته ﷺ ، وعليها يقوم دينه .

فلا يصح أن يقال : كان يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويُحِل الطيبات ، ويُحَرِّم الخبائث ،...إلخ، في أول دعوته ، ثم تخلى عن ذلك ؟ ـ حاشاه ـ أو أن ذلك في مرحلة دون مرحلة ،... ؟ فلو قال إنسان في ذلك لأبطل نبوته ، وأهدر مكانته ، وهدم أركانَ دينه .

يضاف إلى ذلك أيضاً : أن التحدثَ عن أُمِّيَّةِ النبي المصطفى الكريم ﷺ عامَّتُه كان في المدينة المنورة ، بعد الهجرة ، لأن ذلك وصفُه ﷺ الذي في التوراة والإنجيل ، ولم يكن بمكة يهود أو نصارى من أهلها ، إنما اليهود هم من سكان المدينة ، والبحث إنما جاء معهم ، لقيام الحجة عليهم .

ثم لو كانت فيه في أول أمره ، ثم زالت في آخر حياته ؛ لأنكر اليهود والنصارى نبوتَه ورسالتَه ﷺ ، لأنهم ما عرفوه إلا في المدينة المنورة ، وفي آخر حياته ، وطبّقوا عليه تلك الصفات الموجودة عندهم عنه ، فوجدوها فيه ، فآمن مَن أراد الله تعالى هدايتَه ، وكفر مَن كُتبت عليه الشقاوة ـ حسداً وبغضاً ـ فلو لم تكن فيه لوجد هذا الصنفُ دليلَهم في الإنكار ، والله تعالى أعلم .

وإن كان الأنبياء السابقون عليهم السلام أخبروا عنه ﷺ ؛ بأنه أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب ؛ وذلك حسب ما أخبرهم الله تعالى بها ، وأنها صفتُه ﷺ الموجودةُ في كتبهم ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ وأخبر بها الأحبارُ والرهبانُ بأنها صفتُه ﷺ التي وجدوها عندهم في التوراة والإنجيل ، وجاء الواقعُ ليؤكد صدقَ أقوالهم وأخبارهم ، فكيف وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى ورسولُه ﷺ عنه بأنه أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب !! فلو قيل خلاف ذلك لكان مخالفاً لما قاله الله تعالى ورسولُه ﷺ وقاله الأنبياءُ السابقون على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وهي صفته المذكورة في كتبهم . ومن زعم تغييرَها فقد خالف الواقع والحقيقة والخبر .

لذا جاء الخبر من الله عز وجل ورسولِه المصطفى الكريم ﷺ ، ومن الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام ، ومما في كتبهم ، ونطق بها أحبارُهم ـ أقول : جاء ذلك كله مطابقاً للخبر . حيث كان العربُ أُمِّيِّين ؛ لا يقرؤون ولا يكتبون ، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم رسولاً من أنفسهم ؛ أُمِّيّاً ـ بأبي هو وأمي ـ لا يقرأ ولا يكتب ، فكانت المعجزة .

لقد اتفق العلماء ـ على اختلاف تخصصاتهم ، كما ستأتي أقوالهم ـ من لغويين ، ومحدثين ، ومفسرين ، ومؤرخين ، وأهل السِّير والمغازي ، وأهل الغريب ،... على أن رسول الله ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وأنه ﷺ بقي كذلك إلى آخر حياته على هذه الحالة ، لأنها صفته التي جبلَه الله عز وجل عليها ، وذكرها سبحانه وتعالى في الكتب السماوية السابقة ، كعلامة بارزة له ، وأَطْلَع الله تعالى عليها رسلَه السابقين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وأخبر بها أحبارُ ورهبانُ الكتب السابقة ، الذين أدركوا زمانه ﷺ ، أو ماتوا قبل بعثته بقليل ، وذلك حين ذِكْرِهم لصفاته ﷺ ؛ كما جاءت عندهم في كتبهم .

وعلى هذا نطق به القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وأقوال الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وأجمع أهل العلم بعدهم على ذلك أيضاً ، و سيأتي ذكر ذلك كله في الفصل الثاني وفي ثنايا الفصل الأول .

ومع هذا فقد نبتت نابتة تدين بدين المسلمين ، وتنطق بلغتهم ـ والله تعالى أعلم بنياتهم ومقاصدهم وعقدتهم ـ جعلوا هدفهم تجريدَ النبيِّ الكريم ﷺ من أهم خصائصه ، وتجريد الإسلام من أهم ميزاته ، وتجريد السنة النبوية من أهم ثوابتها ، وتجريد كتب الحديث من أهم صفاتها ،...

كمن يطعن في ذات النبوة ، ومن ينفي الشفاعة ، ومن ينفي الميزات ، ومن يطعن في النسب الشريف ، ويزعم أنه ﷺ من أصل قبطي ، ومن يزعم أنه ﷺ لم يكن سيداً أو خيرَ أهل زمانه ،... زاعمين أن ذلك كله من فعل اليهود ، وهم في الواقع ينفذون مخططاتهم ، وإن كانوا لا يعلمون .

كما وُجد من يطعن في السنة ، وآخر في كتب السيرة ، وثالث يطعن في الصحيحين ، ورابع يطعن في كتب الحديث عموماً ،... كل ذلك بحجة الدفاع عن الإسلام والدين ونبي الإسلام عليه وآله الصلاة والسلام ، ولا يدرون أنهم طعنوا في علماء الأمة كلها إلى زماننا هذا . وأنهم نصبوا أنفسهم معاول هدم ، أُريد بهم هدم الإسلام من داخله .

هل علم هؤلاء الطاعنون ـ إن كانوا صادقين غيورين ـ أن علماء الأمة منذ زمن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا قد قرؤوا وسمعوا وشرحوا ودونوا ،... ما هو موجود في القرآن الكريم ، وفي كتب الحديث ،... وأنهم أقروا ذلك واعتمدوه ، فهل كان هؤلاء العلماء رحمهم الله تعالى على غير هدى وعلى غير معرفة ـ حاشاهم ـ فخفي ذلك عليهم ، حتى اكتشفه هؤلاء الطاعنون ، أم أن هؤلاء يسيرون على

غير هدى من العلم والمعرفة ؟ ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1].

لقد تدرجوا في الطعن ، حيث بدؤوا منذ سنوات في الطعن بالسنة ، ثم خصوا الصحيحين ، ثم طعنوا في شخص رسول الله ﷺ ؛ ليجردوه من أهم ميزاته ، ويجعلوا الإسلام نسخة مؤلفة عن الديانات السابقة . وإلا فما بالهم يطعنون في ثوابت الإسلام التي اتفق عليها جميع أفراد الأمة[2].

بل تجرأَ بعضهم إلى القول (وهل الإسلام إلا طفل رضيع تربى في أحضان النصرانية) ونحو هذا الكلام ، الذي لا يصدر إلا من جاهل .

ولكن لا يدري هؤلاء أن الإسلامَ ونبيَّ الإسلام ﷺ صخرةٌ تتهشم عليها رؤوسُ المشكِّكين ، وتتحطم عليها قلوبُ الحاقدين ، وتتكسر عليها أيدي السارقين ، وتزول رياح الطاعنين ،...

كناطح صخرة يوماً ليوهنها   أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ومن آخر ما قرأت مقال بعنوان (هل النبي ﷺ كان يقرأ ويكتب ؟) في مجلة (روز اليوسف) الصادرة في (٢١/ ١٠/ ١٩٩٦م).

وهالني هذا العنوان ، وتعجبت لنشره ، لأنه من المسَلَّمات ، المعلومة لكل مسلم ؛ يقرأُ كتابَ الله تعالى ، وهو من الحقائق الثابتة التي لا تحتاج إلى نقاش ، حيث أخبر الله تعالى ورسولُه ﷺ عنه ، وانعقد الإجماعُ عليه ، وعليه علماءُ الأمة من سلفها إلى خلفها . لكن زال عجبي من كتابة هذه المقالة في هذا الوقت ، لَـمّا عرفت حال هذا الإنسان . الذي نصب نفسه حكماً ، وأنه اكتشف

(١) سورة النساء (١١٥).

(٢) انظر : شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

أمراً جديداً ، بأن رسول الله ﷺ لم يكن أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، ضارباً بعرض الحائط ـ من غير أن يعلم ـ ما ثبت في القرآن الكريم ؛ من كونه ﷺ كان أُمِّيّاً ، وأن هذا وصفه في الكتب السماوية السابقة ، وقد نطق به ﷺ في آخر حياته ، وأخبر بذلك أصحابُه رضي الله عنهم ، وأطبق عليه علماء الأمة ، واشتهر ذلك وانتشر ، حتى أغنى عن ذكر السند ، وعرفه القريب والبعيد ، والصغير والكبير .

وإن كنت أعجب من مسلم يدعي الإيمان والإسلام ثم ينفي صفة الأُمِّيَّة عن رسول الله ﷺ ، ليجعل ما جاء به ﷺ قد أخذه عن غيره ، وينفي عنه صفةً من أهم صفات الإعجاز ، فيجعلون الرسالةَ بشريةً ، لا ربانيةً ، بينما الوحيُ هو آيتُه ﷺ العظمى التي امتاز بها عن سائر الرسل عليهم السلام .

وكأنه لم يبق عند المسلمين إلا هذه الأمور الخاصة ، التي تحتاج إلى بيان ، ولكن أعداءَ الإسلام بدؤوا يُسَخِّرون أقلامَ أتباعهم من المأجورين ، الذين باعوا دينهم وولاءَهم بعَرَض من الدنيا قليل ، فصاروا يفاجئون المسلمين بين كل فترة وأخرى بفكرة خطيرة ؛ ليُشغلوا المسلمين بها ردحاً من الزمن ، ويشكِّكوا بسطاءَهم ، كمن كتب بأن الجنة ليست وقفاً على المسلمين ، وأن اليهود والنصارى : مؤمنون موحِّدون ، وهم داخلوها ؛ كالمسلمين ـ هكذا يقول ، وأرجو الانتباه لمثل هذا القول ـ مع أن الله تعالى أخبرنا في كتابه الكريم أنه حرَّمها على الكافرين ،... وكمن نفى الشفاعة كلها ،... إلى غير ذلك .

ولا أدري ما وراء تلك الدعوى ، مع أنها دعوى خطيرة إذ فيها نفي أهم ميزة لرسول الله ﷺ ، وطعن في أهم معجزاته ، كما بينت من قبل ، وفي هذه الدعوى سلب صفة القدسية ، وجعل الرسالة بشرية ، ولا ندري لعل آخر يأتي

ويدعي ما هو أكبر من ذلك ، طالما زال الحياء ، وانكشف الغطاء ، وأبيح المستور .

لقد ذكرت عبارةً وكررتُها في عدد من كتبي ، أذكرها هنا أيضاً ، فأقول : (لقد اكتشفنا في ميدان السياسة كُوهيناً واحداً ، فما عسانا أن نكتشف من كواهين في ميادين العقائد والعلم والفكر و... و... ؟؟؟).

والكواهين قسمان :

الأول : يهودي أو نصراني حقيقة وجنساً ، عقيدةً وفكراً ، قلباً وقالباً ، أصلاً وفصلاً ، مدخلاً ومخرجاً ، دماً ولحماً ، وإن نطق العربية ، ولبس لباس العرب . ولقد رأيت في حياتي ، وسمعت الكثير عن مثل هؤلاء .

ـ كمن كان يصلي بالناس ، ويدرِّسُ ، ويخطب بهم ، فلما قامت الحرب في فلسطين (١٩٤٨م) وذهب كثيرٌ من أهلي وعشيرتي للجهاد ، رأوه في صفوف اليهود ، فكان نصيبه رصاصة واحدة من أحدهم ، فقتله الله تعالى بها ، ولكن كانت الرصاصة أغلى منه .

ـ ولما قامت الحرب الأخرى (١٩٦٧م) وحُشر القناصل والمعتمدون في بيت المقدس ، لإجراء التحقيق معهم ، ولما أُدخلوا إلى غرفةٍ للتحقيق ؛ اضطرب قنصل منهم ، وكاد أن يغشى عليه ، وسبب ذلك أن الذي يجري التحقيق معه كان يعيش في بلده ، ورآه مراراً في المسجد ـ وأحتفظ بذكر من حدثني بذلك رحمه الله تعالى ـ وهناك كثير غيرها .

والقسم الثاني : هم مسلمون وليسوا يهوداً أو نصارى حقيقةً ، لكنهم باعوا دينهم ووطنهم للعدو ، فصاروا موالين لهم ، وما أكثرهم في بلاد المسلمين ، خاصة الذين غسلت أدمغتهم وعقولهم ، وانبهروا بثقافة الغرب ، فانسلخوا من عقيدتهم ، ولبسوا ثياب أعداء الله تعالى ، ونطقوا بلسانهم ، وعقدوا عقدة

قلوبهم على معتقداتهم .

لكن لا يدري هؤلاء البسطاءُ أن الدِّينَ لله تعالى ، وأنه جل شأنه قد تكفل بحفظه وصيانته ، ولم يكله إلى علمائه وأتباعه ، لذا لن يتغير ، ولن يتبدل ، مهما نال منه أعداؤه ، أو حاولوا تشويهه ، أو طمسه ، واعتدى عليه السفهاءُ ممن ينتسبون إليه ، بخلاف الديانات السابقة ؛ حيث حصل التغيير والتبديل ، لأن المولى عز وجل لم يتكفل بحفظها ، بل ترك ذلك لأربابها ، لأنها مرحلة زمنية ، حتى أتى هذا الدين العظيم .

ولما كان الذي دعا إليه الكاتب ونطق به وعبَّر عنه في هذه المقالة ؛ ليس هو الوحيد في هذا العصر ، بل سبقه عدد من المخالفين المشبوهين ، وكتبوا في الجرائد ، وكأنهم اكتشفوا شيئاً جديداً .

ولعلمي بخطورة هذه الفكرة ، أحببت أن أكتب بحثاً مختصراً أذكر الأدلةَ على كون النبي المصطفى الكريم ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وأن هذه الصفة من أهم صفاته ﷺ التي وصفه الله تعالى بها في كتابه الكريم ، وفي الكتب السماوية السابقة ، وعرفها الأنبياء والرسل ، وبها تكمن معجزته ﷺ ،... راجياً منه تعالى الإعانة والتوفيق والقبول .

ولهذا جعلت البحث مكوناً من فصلين :

الفصل الأول : ويشمل : تعريف الأمِّيَّة ، والحكمةَ من كونه ﷺ أُمِّيّاً . وفيه ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني : الأدلة على أُمِّيَّة النبي المصطفى الكريم ﷺ .

أسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العصمةَ في الدين ، والاستقامةَ على الشرع الحنيف ، والصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، وأن يسدِّدَ قلمي ، ويأخذَ

بيدي ، ويلهمني الرشدَ والصوابَ ، ووضوحَ القصد ، وحسن العبارة ، وأن يجعل هذه الرسالةَ مقبولةً عنده ، وينفع بها من قرأها أو سمعها ، ويقيها وغيرَها من كتبي شرَّ الأشرار ، ويحفظها من كيد الكائدين ، وحسدِ الحاسدين ، ويدّخرها لي ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ويجعل ثوابي فيها مرافقةَ نبيِّه وصفيِّه المصطفى الكريم ﷺ في أعلى عِلِّيِّين ، ورضاه يوم العرض عليه ، مع والدَيّ وزوجي وأولادي وأشياخي وأحبابي وذريتي ومن يلوذ بي ، إنه القادر على ذلك ، وهو المأمول لا سواه ، عليه اعتمادي ، وبه أصول وأجول ، ومنه أستمد العونَ ، وهو ذخري وناصري ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين ،،،،

المدينة المنورة ٢٠ / رمضان المبارك / ١٤١٧ هـ.

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

ذكر بعض الحقائق

قبل البدء في بيان الأُمِّيَّة ، والأدلة على أُمِّيَّة النبي المصطفى الكريم ﷺ أذكر بعض الحقائق العلمية المهمة ، لتكون لنا مدخلاً ومرجعاً .

١ ـ لقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه الكريم عن رسوله المصطفى الكريم ﷺ بأنه أُمِّيٌّ ، وبُعث إلى أمَّة أُمِّيَّة .

قال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ... ﴾[1].

وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ... ﴾[2].

وقال جل شأنه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ... ﴾[3].

فهو ﷺ أُمِّيٌّ كَهُم ، وبُعث إلى أُمَّة أُمِّيَّة .

٢ ـ من جملة صفات النبي الكريم ﷺ الموجودة في التوراة والإنجيل أنه نبيٌّ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، كما مر في الآية الأولى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ .

٣ ـ إخباره ﷺ عن نفسه بأنه أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في بحث الأدلة (الدليل السابع عشر) فانظرها .

٤ ـ إخبار الرسل عليهم السلام عنه ﷺ بأنه نبيٌّ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، في بحث الأدلة أيضاً .

---

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) سورة الأعراف (١٥٨).

(٣) سورة الجمعة (٢).

٥ ـ إخبار الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى عنه ﷺ بأنه أُمّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، كما مر ذكر بعضه في المقدمة ، وكما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في بحث الأدلة أيضاً .

٦ ـ إخبار الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بأنه ﷺ أُمّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب . كما سيأتي إن شاء الله تعالى أيضاً

٧ ـ اتفاق علماء اللغة على أن الأُميَّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وأنه ﷺ كان أُمّيّاً ، لا يقرأ ولا يكتب . كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في المبحث الثاني ، من الفصل الأول .

٨ ـ إجماع علماء الأمة من عصر الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فمن بعدهم ـ على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم وتخصصاتهم ـ على أنه ﷺ كان أُمّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب . كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

٩ ـ إن علماء السير والمغازي والشمائل أفردوا معجزاته ﷺ بالتصنيف ، فلم يذكر واحد منهم أنه ﷺ تعلم الكتابة ضمن معجزاته ، بل قالوا : النبيّ الأُمِّيّ .

١٠ـ جميع الكتب والرسائل التي كُتبت والعهود والمواثيق التي أرسلت إلى الملوك والزعماء والأمراء والقادة ،... إنما كُتبت بأقلام الصحابة رضي الله عنهم ، فلو كان ﷺ كاتباً لما احتاج إلى كُتّاب يكتبون له ، بل لكتب هو بنفسه ، خاصة وأن بعض ما في هذه الكتب يحمل أموراً سرِّية أو خاصة[١].

١١ ـ لو كان ﷺ يعرف القراءة والكتابة لاتُّهم بأخذ القرآن من الكتب السابقة ، ولاتُّخذ ذلك ذريعةً في الطعن بالرسالة [٢].

---

(١) انظر : الوثائق السياسية .

(٢) انظر : تثبيت دلائل النبوة .

١٢ ـ إن دعوى نفي الأُمِّيَّة عنه ﷺ تكذيب للشرع الذي أثبتها له ، حيث اتفق عليها القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع ، ونطق بها الأنبياء السابقون عليهم السلام وأتباعهم ، وهي موجودة في كتبهم .

١٣ ـ إن ادعاء نفي الأُمِّيَّة عنه ﷺ يتنافى مع ثبوتها له ﷺ كصفة لازمة له ، في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومدعاة لأهل الكتاب أن ينكروا أن يكون هو النبي المبشَّر به في كتبهم ، وهو النبي الموعود ﷺ .

١٤ ـ لم يكن في قريش ـ فضلاً عن بقية القبائل العربية الأخرى ـ من يعرف القراءة والكتابة ؛ إلا من هو أقل من عشرين شخصاً أثناء بعثته ﷺ ، وقد كان العرب يتناقلون أشعارهم وأخبارهم حفظاً ، ولم يكونوا يتناقلونها كتابة ، ولهذا سماهم الله تعالى : ﴿ ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ وبَعَثَه ﷺ منهم ، وهو مثلهم ، ولكنه ﷺ حث على كتابة القرآن خشية الاختلاف فيه ، لأن الحفظ قد يخون ؛ فيُنقل بالمعنى ، كما هو الحال في اختلاف روايات الشعر والنثر ، أما القرآن فلا يجوز نقله بالمعنى . بل لا بد من اللفظ ، لذا حث ﷺ على كتابته .

١٥ ـ لا يُعرف في تاريخ البشرية من ضُبطت سيرته وحياته وأيامُه وجزئيات حياته ،... إلا هو ﷺ ، وفي ذلك لم ينقل أنه ﷺ تعلم على يد معلم ، أو درس في مدرسة ، أو كتب في كُتّاب ـ وأنى لهم في مكة وليس شيء منها موجوداً ـ ولو وجد شيء من ذلك لذكر ، ولتواتر النقل به ، لتوفر الدواعي عليه ، ولحكاه أهل التصنيف في كتبهم . ولا يوجد من طريق صحيح أو حسن أو ضعيف . كما لم ينقله أحد من العلماء .

١٦ـ لما جلس رسول الله ﷺ إلى رجل أعجمي ؛ لا يفقه العربية ، يدعوه إلى الإسلام ، وزعم كفار قريش أنه يتعلم منه ، رد الله تعالى عليهم ردّاً شديداً ،

فقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[1].

فقد بين الله تعالى أنهم كافرون كاذبون مفترون ، وإلا فهذا لسان عربي مبين ، وذاك أعجمي لا يفقه العربية ، فكيف يتعلم منه رسول الله ﷺ ، وكيف يوصف هذا القرآن المنزل من عند الله تعالى بأن أصله أعجمي ، فهذا منتهى الضلال والافتراء .

ولما قالوا : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2] رد الله تعالى عليهم رداً شديداً ، مبيِّناً أنه هو الذي أنزله ، وليس هو من صنع البشر ، فقال جل شأنه : ﴿ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ وبقية الآيات إلى قوله جل شأنه : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[3].

١٧ ـ إن الله سبحانه وتعالى لم يرض أن يكون لأحد من المسلمين ـ مهما كان ـ منةٌ على رسول الله ﷺ ، حتى لو كان في أمر عباديٍّ ، وفيه مصلحة ، مثل الصلاة على النبي المصطفى الكريم ﷺ ، مع أن الله تعالى أمرنا أن نصلّي ونسلِّم عليه ، فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾. وقد طلب منهم أن يحيلوا ذلك إلى الله تعالى ، فهو الذي يصلّي ،

---

(١) سورة النحل (١٠٣ – ١٠٥).

(٢) سورة الفرقان (٥).

(٣) سورة الفرقان (٦ ، ٩).

لتكون المنةُ كلها لله تعالى ، لا للمصلّي على النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وهذا ما بيَّنه رسول الله ﷺ ، عندما سأله الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن كيفية الصلاة عليه ، قال : « قولوا : اللهم صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد ،... » الحديث بطوله ، وقد ورد في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

مع أن الله تعالى أخبرنا أنه وملائكته يصلّون على هذا النبي المصطفى الكريم ﷺ .

علماً بأن مردود الصلاة على النبي المصطفى الكريم ﷺ إنما هي للمصلّي ، وليست للنبي الكريم ﷺ ، إذ ما قيمة صلاتنا بجانب صلاة الملائكة ، بل ما قيمة صلاة الملائكة بجانب صلاة الله تعالى ، وذلك ليشترك العالَمُ السفلي [بنو آدم] مع العالَم العلوي [الملائكة] في تكريم هذا النبي المصطفى الكريم ﷺ ، كما أوضحته في الكتاب الخاص بذلك ،

فإذا كان الله تعالى لم يرض أن تكون المِنَّةُ للمسلمين الصالحين على نبيه الكريم ، فجعل مردود صلاتهم عليه ﷺ على المصلّي من المسلمين ، فكيف يرضى جل شأنه أن تكون لكافر أعجميّ ـ وإن قيل إنه أسلم ـ منة على رسوله الكريم ﷺ ؟؟؟ ذلك أن التعليم منة عظمى ، ومن تولّى تعليم غيره كانت له عليه منة عظمى ، فإذا لم يرض جل شأنه أن تكون للمسلم منة وفي أمر عبادي ، وظاهره الدعاء للنبي الكريم ﷺ ، فكافأ الله تعالى ذلك المصلّي بأنواع كثيرة من الإكرامات زادت على (٤٠) فائدة ، فكيف يرضى أن تكون للخلق منة على نبيه الكريم ﷺ ، وهو على المسلمين بل على الخلق أجمعين المنة مع الله تعالى (الله ورسوله أَمَن) (المنة لله ورسوله).

لذا أخبرنا جل شأنه أنه تعالى هو الذي تولى تعليم نبيه الكريم ﷺ ، فقال جل شأنه : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1]. ليكون الفضل لله تعالى لا لغيره على نبيه الكريم ﷺ ، والله تعالى أعلم .

١٨ ـ لو كان رسول الله ﷺ يعرف القراءة والكتابة لما احتاج إلى كُتّاب للوحي ، وكيف كان ﷺ يملي عليهم القرآن الكريم ليكتبوه . وقد تواتر ذلك عنه ﷺ ، وزاد عدد الكُتّاب على الأربعين[2] ، كما بينت ذلك في غير هذا الكتاب .

١٩ ـ لو كان ﷺ قارئاً كاتباً ، وهو الذي كتب القرآن بنفسه ، لما احتاج الصحابة رضي الله عنهم إلى جمع القرآن مرتين ، مرة في حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومرة في حياة عثمان رضي الله عنه . وانظر تفاصيل ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

٢٠ ـ إن صفة الأُمِّيَّة بالنسبة للنبي الكريم ﷺ بقيت ملازمة له طيلة حياته ، حيث ثبت ذلك في نصوص مشهورة غاية الصحة . والآيات القرآنية التي تنص على أنه ﷺ أُمِّيٌّ ، بُث إلى أُمَّةٍ أُمِّيَّة كلها في سور مدنية ، لأنها في سور آل عمران والأعراف والجمعة ، كما سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ وأنه بعث ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ ولا يعدل عن ذلك إلا بدليل قاطع ، ولا دليل ، ولا شبهة دليل .

يضاف إلى ذلك إن إطلاق الصفة لا تطلق على الإنسان بما كان يتصف به في أول أمره ، بل لا بد أن يكون في آخر حياته أو أغلب مدته ، وذلك أن جميع

---

(١) سورة النساء (١١٣).

(٢) انظر : نشأة علوم الحديث .

الخلق يولدون أميين ، ثم يتعلمون ، فلا يقال للمتعلم : إنه أُمِّيٌّ ، باعتبار ما كان قبل تعلمه . لأن هذا الوصف قد زال . ولكن يطلق على أحدهم أُمِّيٌّ إذا استمر على أميته .

٢١ ـ الأصل في تفسير الآيات القرآنية الكريمة حسب مقتضى اللغة العربية ، وعلى ظاهر ما يفهم منها ، إلا أن يقوم دليل يدل على أن المراد خلاف ذلك[١].

ولا تفسر الآيات القرآنية حسب العادات والأهواء والرغبات . لذا لا بد من معرفة معنى اللغة إبان نزول الوحي .

كما أن من المعلوم أن هناك ثلاث حقائق ؛ الحقيقة اللغوية ، والحقيقة الشرعية ، والحقيقة العرفية .

فإذا اختلفت الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية تقدم الحقيقة اللغوية .

وإذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية تقدم الحقيقة الشرعية .

فالأُمِّي ـ في اللغة وفي الشرع ـ : هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، كما فسره رسول الله ﷺ ، كما سيأتي بيان ذلك .

٢٢ ـ إذا لم يعرف النبي الكريم ﷺ القراءةَ والكتابة قبل البعثة حتى لا يرتاب المبطلون ، وإن كانوا لا يعلمون صفته من قبل ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[٢] فمن باب أولى أن لا يعرفها ﷺ بعد البعثة ، وإلا لارتاب أهل الكتاب ، لأن الذي يجدونه

(١) انظر : الرسالة للإمام الشافعي ، والإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه .

(٢) سورة العنكبوت (٤٨).

موصوفاً عندهم في التوراة والإنجيل هو أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، فلو عرف القراءة والكتابة لتنافى ذلك مع الصفة المذكورة عندهم . وكذا يرتاب الكفار عموماً فيقولون تَعَلَّمه .

لذا بقي ﷺ أُمِّيّاً ، كما هو موصوف في الأمم السابقة . وبذلك يكون الله تعالى قد قطع عليهم جميعاً الاعتراض .

٢٣ ـ إن تعليم الله عز وجل لعبد من عباده لا يتوقف على القراءة والكتابة ـ أي لا بد من وجود واسطة ـ لأن الله سبحانه وتعالى خالق الوسائط ، وهو قادر على تعليم عبده بدون واسطة .

فمثلاً الأعمى ، لا يعرف القراءة والكتابة ، ومع هذا نجد عدداً كبيراً من النبغاء والعظماء ـ في علوم مختلفة ـ وهم عميان . فكيف إذا كان التعليم عن طريق الوحي الذي لا يقاربه حس ، ولا تدانيه مشاهدة ، ولا تساويه تجربة .

٢٤ ـ إن وصف ﴿ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ للنبي الكريم ﷺ هو وصف مدح وإطراء ومحمدة ، وليس هو وصف ذم ، وفي هذا الوصف تكمن المعجزة ، وتتضح قوتها ، لأنه ﷺ ـ إذا كان وهو الأُمِّيُّ ؛ الذي لا يعرف القراءة والكتابة ـ واجه البلغاء والفصحاء والعظماء ،... بما أعجزهم وأقعدهم ، وتقاصروا عن محاكاته ، وخضعوا لقوته وعظمته ،... مع ما في هذا الكتاب الكريم من خَبَرَ من سبق ، ونبأ من يأتي ،... وفيه من الإعجاز العلمي في علوم لا يعرفها المتقدمون ، ولم يعرف حقائقها ـ أو بعض حقائقها ـ إلا الحاضرون ، وما زالوا يكتشفون الكثير مما حوته آيات الكتاب الكريم ، ونطق به الرسول الأمين ﷺ ، وما فيه من الدلائل التي لا يمكن أن تكون من عامِّيٍّ ، وما فيه من البراهين ، والأحكام ، وحل قضايا

الإنسانية ،... كل ذلك دلالة على أن هذا القرآن الكريم ليس من صنع البشر ، إنما هو كلام الخالق القادر المدبر ، خالق البشر ، والله تعالى أعلم .

وهناك أمور كثيرة ، لكن حسبي ما ذكرت .

الفصل الأول

تعريف الأُمّيّة والحكمة من كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم أُمّيّاً

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الأُمّيُّ في القرآن الكريم

المبحث الثاني: معنى الأُمّيّ في اللّغة العربيّة

المبحث الثالث: الحكمة من إرساله صلّى الله عليه وآله وسلّم أُميّاً



المبحث الأول
الأُمّيُّ في القرآن الكريم

إن الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت في كتاب الله سبحانه وتعالى وفيها لفظ ﴿ ٱلْأُمِّيّ ﴾ سواء بصيغة المفرد أو بصيغة الجمع هي ست (٦) آيات فقط ، ثلاث منها تتحدّث عن العرب ، وهم أُمَّةُ النبي المصطفى الكريم ﷺ ، الذين خاطبهم بالرسالة ، لأنهم أُمِّيّون ؛ لا يقرؤون ولا يكتبون في أغلبهم . وواحدة في اليهود ، وآيتان جاءتا في النبي المصطفى الكريم عليه وآله الصلاة والسلام .

١ ـ ما جاء في أُمَّة النبي المصطفى الكريم ﷺ فهي :

أ ـ قال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

أي أرسل الله سبحانه وتعالى في أمة العرب رسولاً منهم ؛ وهو أُمِّيٌّ كَهُمْ ، إذ لم يكن لهم كتاب ، ولا يعرفون القراءة والكتابة . وسيأتي بيان ذلك في الاستدلال إن شاء الله تعالى .

ب ـ قال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2] .

يقول الله عز وجل مخاطباً رسولَه المصطفى الكريم ﷺ : فإن جادلك اليهودُ والنصارى فقل لهم : أسلمتُ وجهيَ لله تعالى ، وأخلصتُ عملي له ؛ أنا

(١) سورة الجمعة (٢).

(٢) سورة آل عمران (٢٠).

ومن اتبعني من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، وقل لأهل الكتاب ـ من اليهود والنصارى ـ وللأُمِّيِّين ـ وهم العرب ـ : أَسْلِمُوا . فإن أَسْلَمُوا وانقادوا ، وصدَّقوا بما جئتَ به ؛ فقد صاروا مهتدين ، وإن أعرضوا عنك ، ولم يصدِّقوا ، ولم يؤمنوا ، فإنما عليك البلاغ ، وقد بلَّغتَ ، والله بصير بمن آمن بك وصدَّقك ، وبمن كفر بك وكذَّبك[1].

فلما ذكر أهلَ الكتاب وعطف عليهم الأُمِّيِّين دل على أن الأُمِّيِّين ليسوا من أهل الكتاب ، وإنما هم غيرهم ـ وهم العرب ـ لأن العطف يقتضي المغايرة ، لذا خاطبهم رسولُ الله ﷺ جميعاً ، لأنهم جميعاً مطالبون بهذه الرسالة ، وعلى أهل الكتاب أن يتركوا ما كانوا عليه ، ويتبعوا هذا الرسولَ الكريم ﷺ ، كما أمرهم الله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[2].

وقال جل شأنه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[3].

فقد أمرهم الله عز وجل بالإيمان بما أنزله جل شأنه ، وحذَّرهم أن يكونوا

---

(١) انظر كتب التفسير : الواحدي (١ : ٤٢٣) والنيسابوري (٣ : ١٥٤ – ١٥٥) وابن كثير (١ : ٣٥٤) والطبري (٦ : ٢٨١ – ٢٨٣) ط شاكر ، والقرطبي (٤ : ٤٥ ـ ٤٦) وزاد المسير (١ : ٣١١ – ٣١٢) وفتح القدير (١ : ٣٢٦ – ٣٢٧).

(٢) سورة النساء (٤٧).

(٣) سورة البقرة (٤٠ – ٤١).

أولَ كافر به ، لعلمهم به مسبقاً ، كيف وقد أخذ عليهم العهد بذلك من قِبَلِ أنبيائهم عليهم السلام ، والله تعالى أعلم .

ج ـ قال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

قال الإمام الواحدي رحمه الله تعالى في الوسيط[2] : قال المفسرون : أخبرنا الله تعالى في هذه الآية عن اختلاف أحوال أهل الكتاب في الأمانة والخيانة ، ليكون المؤمنون على بصيرة في ترك الركون إليهم ، واستحلالهم أموال المسلمين .

فقد أودع رجل عند عبد الله بن سلام رضي الله عنه ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأدّاه إليه ، فمدحه الله تعالى ، وأودع رجلٌ فنحاصَ بنَ عازوراء (وهو من كبار أحبار وعلماء يهود) ديناراً فخانه ، وذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ يعني : عبد الله بن سلام ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ يعني : فنحاص .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ﴾ أي بالإلحاح والخصومة في التقاضي والمطالبة .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾ أي ذلك الاستحلال والخيانة بأنهم يقولون : ليس عندنا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل ، لأنهم مشركون ، وأن الله سبحانه وتعالى أباحها لهم . لذا كذَّبهم الله عز وجل فيما

---

(١) سورة آل عمران (٧٥).

(٢) الوسيط (١ : ٤٥١ – ٤٥٢) بتصرف .

قالوا ، فقال جل شأنه : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ لأنه ليس في كتابهم استحلال الأمانة ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون ، فلم يقولوا ذلك عن جهالة فيُعْذروا ، بل قالوا عن عمد وعلم .

ولهذا قال الله تعالى في الرد عليهم في الآية الثانية : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] أن يكون عليكم سبيل في ذلك ، وأن من أوفى بما عاهد الله سبحانه وتعالى في التوراة ، وآمن بالنبي المصطفى ﷺ وبالقرآن الكريم وأداء الأمانة ، واتقى الكفرَ والخيانةَ ونقْضَ العهد ؛ فإن الله سبحانه وتعالى يحب من كانت هذه صفته.اهـ.

٢ـ ما جاء في كتاب الله عز وجل عن اليهود :

وذلك أن اليهود قسمان : قسم يعرف القراءة والكتابة ، وقسم لا يعرفها .

فجاءت الآية الكريمة تتحدث عن القسم الثاني ، بعد أن تحدثت عن القسم الأول ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[2] .

لما ذكر الله سبحانه وتعالى ـ في الآيات السابقات عن هذه الآية ـ أهلَ العلم من اليهود ؛ بأنهم غير عاملين ، بل حرَّفوا الكلمَ عن مواضعه ، وغيَّروا كلامَ الله تعالى من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ،... ذكر أهلَ الجهل منهم بأنهم يتكلمون على الأماني ، ويعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليدهم على غيره ، ولا يظفرون بسواه .

---

(١) سورة آل عمران (٧٦).

(٢) سورة البقرة (٧٨).

فهم قوم من اليهود عوام ؛ لا يقرؤون ولا يكتبون ، ولا يعرفون الكتاب ـ الذي هو التوراة ـ ولا يدرون ما فيها ، لما هم عليه من كونهم لا يكتبون ولا يقرؤون المكتوب ، ولكنهم يتخرصون الكذب ، ويتقوَّلون الباطل ، بما سمعوا من رؤسائهم وأحبارهم أموراً ظنوها من كتاب الله عز وجل ، وليست من كتاب الله تعالى . إنما هي أمنيات قالها زعماؤهم فردَّدها هؤلاء الجهال من غير إشغال فكر ، أمثال قولهم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾[1] وقولهم : ﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾[2] وقولهم : ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[3] وغير ذلك ، وقد كذَّبهم الله تعالى في كل ما زعموا .

وقد جعلهم رؤساؤهم وكبراؤهم وأحبارهم يعتمدون على هذه الأماني المكذوبة ، وأنهم مغفور لهم ؛ لأنهم شعب الله المختار ،... وهي ليست من كتاب الله تعالى ، فتركوا التصديق بما جاء من عند الله تعالى ، واتبعوا ما أخبرهم به كبراؤهم ورؤساؤهم ، فهم يتبعون ما هم فيه شاكّون ، وفي حقيقته مرتابون ، اغتراراً بحلم الله تعالى .

فالاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ هو استثناء منقطع ، وذلك لأن الأماني ليست من جنس العلم ، يعني لا يعلمون الكتاب البتة ، ولكن يتمنّون الأماني ، وما هم إلا يكذبون ويحدثون ، لأنهم لا علم لهم بصحة ما يتلون ، وإنما هم مقلِّدون لأحبارهم فيما يقرؤون به ، والله تعالى أعلم[4].

(١) سورة البقرة (٨٠).

(٢) سورة البقرة (١١١).

(٣) سورة المائدة (١٨).

(٤) انظر كتب التفسير : الطبري ، القرطبي ، النيسابوري ، ابن كثير ، والشوكاني .

٣ ـ ما جاء عن النبي المصطفى ﷺ :

أ ـ فقد قال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

ب ـ وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2] .

لما اختار موسى عليه السلام (٧٠) سبعين رجلاً من قومه ليعتذروا إلى ربهم جل شأنه من عبادة العجل ، فلما سمعوا كلام الله عز وجل قالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الرجفة عقاباً لهم على قولهم ، فتضرَّع موسى عليه السلام إلى ربه عز وجل ، حتى قال الله تعالى له : ﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ فقال إبليس : أنا من الشيء . فأنزل الله تعالى بيانها : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فتمنتها اليهود والنصارى ، وقالوا : نحن نتقي ، ونؤتي الزكاة ، ونؤمن بالتوراة والإنجيل ، فعَزَلَها الله تعالى عنهم جميعاً ، وجعلها لهذه الأمة خاصة ، حيث بَيَّنَ وفَصَّل هؤلاء الذين كَتَب لهم هذه الرحمة ، فقال جل شأنه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ... ﴾ إلى آخر الآية ، فخرج اليهود والنصارى وسائر الملل الأخرى .

---

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) سورة الأعراف (١٥٨).

وهذا الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه الذي وصفه الله تعالى في هذه الآية الكريمة ، وأنه مكتوب نعته في التوراة والإنجيل . هو أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا الوصف (كونه ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب) لو لم يكن مكتوباً في التوراة والإنجيل لكان من أعظم المنفِّرات لليهود والنصارى عن قبول قوله ، لأن الإصرار على الكذب والبهتان ـ كما يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى ـ : من أعظم المنفِّرات ، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله ، ويُنفِّر الناسَ عن قبول قوله ، فلما قال ذلك ؛ دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكوراً في التوراة والإنجيل ، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته ، ﷺ[1].

وسيأتي بيان هاتين الآيتين والدلالة فيهما على أُمِّيَّته ﷺ ، في بحث الاستدلال إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر كتب التفسير : الطبري ، النيسابوري ، الرازي ، ابن كثير ، الشوكاني ،... وغيرها .

المبحث الثاني
معنى الأُمّيّ في اللّغة العربيّة

إن مفردات كل لغة ومعانيها إنما تُؤخذ من أهلها ومصادرها ، ولا يصح أن تُؤخذ من أهل لغة غيرها ، لأن أهلَ كل لغة هم أعرف بمعانيها ومدلولاتها واشتقاقاتها وبنائها ، ومرادفاتها ،... من غيرهم ، لذا لا يصح أن نأخذ معنى لفظة إنكليزية إلا من الإنكليز ، ولفظة فرنسية إلا من الفرنسيين ،... وهكذا . لذا فلا يصح أن تُؤخذ معاني الكلمات العربية إلا من أهل العربية أنفسهم ، لأنهم هم أهلها .

وأهل العربية ـ كغيرهم ـ مر عليهم في تاريخهم الطويل ، والتداخل الذي طرأ عليهم ، ونطق بلغتهم من ليس منهم ، ثم ما فعله الاستعمار ، من غسل أدمغة كثير من أبنائها ، والعجمة التي دخلت عليهم ،... لم يعد المتأخِّرون أهلاً أن تؤخذ عنهم المعاني العربية ، لذا صار كثير ممن ينطق العربية ـ في الحقيقة ـ عجماً بالنسبة لها ، لذا قَلَّ من لا يحتاج إلى قاموس عند شرحه لنص لغوي أو أدبي ، فضلاً عن تفسير آية قرآنية شريفة ، أو شرح حديث نبوي كريم .

والقرآن الكريم نزل كله بلغة العرب ، وهو في أعلى بلاغتها وفصاحتها ومبانيها ،... ولا يُفهم أو يُفسر أو يُشرح إلا بلغة العرب ، والرجوع إلى معاني مفرداتها . ومثلُه الحديث الشريف ؛ لأنه وحيٌ ، لكنه غير متلوٍّ ولا مُعجِز[1]. وقد

(١) انظر : السنة النبوية وحي ، حيث خصصته لهذه القضية ، وانظر أيضاً : شبهات حول السنة ، وانظر نشأة علوم الحديث ، حيث ذكرت الفوارق بين وحي القرآن ووحي السنة .

أوتي ﷺ جوامع الكلم ـ كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم[1] ـ لذا لا بد من الرجوع إلى المصادر اللغوية التي خصصت لذلك ، سواء القواميس العربية ، أو كتب بيان الغريب ، أو كتب التفسير التي تعرضت لبيان معاني الألفاظ القرآنية حسب مقتضى اللغة .

لكن يصعب ذكر جميع الأقوال والنصوص ، لذا أذكر بعضها ، وأشير إلى الباقي لمن أراد التوسع والاستزادة .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى رحمه الله تعالى[2]: ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ : الذي لا يكتب .

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر[3] : ﴿ ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ الذين لا يكتبون .

وقال أبو عبيد الهروي رحمه الله تعالى[4]: الأمي ـ في اللغة ـ المنسوب إلى ما عليه جِبِلَّة الناس ، فهو في أنه لا يكتب ، على ما وُلد عليه.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في كتابه (الغريبين)[5] : قوله تعالى : ﴿ بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ : هم مشركو العرب ، نُسبوا إلى ما عليه أُمَّة العرب ، وكانوا لا يكتبون .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ وهو الذي على خلقة الأُمَّة الأُمِّيَّة ، ومنه الحديث : « بُعِثْتُ إلى أُمَّة أُمِّيَّة ».

وقيل : هي التي على أصل ولادات أمهاتها لم تتعلم الكتاب .

---

(١) انظر : عظيم قدره ﷺ (١١٧ – ١١٩) الطبعة التاسعة .

(٢) مجاز القرآن (١ : ٩٠).

(٣) مجاز القرآن (٢ : ٢٥٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة (١ : ٢٨).

(٥) كتاب الغريبين (١ : ٨٩ – ٩٠).

فهو على جِبِلَّته التي وُلد عليها ، نُسب إلى ما ولدته عليه أُمُّه ، معجزة له ﷺ.اهـ.

وقال ابن قتيبة رحمه الله تعالى[1] : إنما قيل لمن لا يكتب أُمِّيٌّ ، لأنه نُسب إلى أُمَّة العرب ، أي جماعتها ، ولم يكن من يكتب من العرب إلا قليل ، فنسب من لا يكتب إلى الأُمة ، فقيل : أُمِّيٌّ ، كما تقول : رجل عامِّيٌّ ، تنسبه إلى عامة الناس ، ثم لزم هذا الاسمُ كلَّ من لا يكتب ، فقيل : العرب أُمِّيّون.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى أيضاً[2] : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ يقول : هم يجدونك أُمِّيّاً في كتبهم ، فلو كنت تكتب لارتابوا.اهـ.

وقال الزجاج رحمه الله تعالى[3] : معنى الأُمِّيّ في اللغة : المنسوب إلى ما عليه جِبِلَّة أُمَّته ، أي لا يكتب ، فهو في أنه لا يكتب : على ما وُلد عليه.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى أيضاً[4] : الأُمِّي : هو على خِلقة الأُمَّة ، لم يتعلم الكتاب ، فهو على جبلته ، وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ وهذا أبلغ في الاحتجاج عليهم ، لأنه إخبار بما في كتبهم ، والنبي ﷺ لم يكن يكتب ، ولا قرأ التوراة والإنجيل ، ولا عاشر أهلَهما ، فإتيانه بما فيهما : من آيات الله العظام ، ومحالٌ أن يجيء مدّعٍ إلى قوم فيقول لهم : ذكري في كتابكم ، وليس ذلك فيه ، وذكرُه قد أنبأ مَنْ آمن من أهل الكتاب به.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر[5] : ﴿ ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ الذين لا يكتبون ، الذين

---

(١) غريب الحديث (١ : ٣٨٤).

(٢) كما في كتاب القرطين (٢ : ٦٧) وتفسير غريب القرآن (٣٣٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١ : ١٥٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢ : ٣٨١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥ : ١٦٩).

هم على ما خلقت عليه الأُمَّةُ قبل تعلم الكتاب ، والكتابُ لا يكون إلا بتعلم ،...

وقيل : أول ما بدأ الكتابُ في العرب بدأ من أهل الطائف ، وذَكَرَ أهلُ الطائف أنهم تعلّموا من أهل الحيرة ، وذكر أهلُ الحِيرة أنهم تعلموا الكتابةَ من أهل الأنبار.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى أيضاً(١) : والأُمِّيّون : مشركو العرب ، لأنهم إنما نُسبوا إلى ما عليه الأُمَّةُ في الخِلْقَة ، لأن الإنسان يُخلَق غيرَ كاتب ، فهذا معنى الأميين.اهـ.

وقال أبو منصور الأزهري رحمه الله تعالى في الزاهر(٢) : الأُمِّيُّ في كلام العرب : الذي لا يكتب ، ولا يقرأ المكتوب ، وأكثر العرب كانوا أُمِّيّين ، قال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ... ﴾ .

وكان النبي ﷺ أُمِّيّاً ، وكان مع ذلك حافظاً لكتاب الله تعالى ، فكانت معجزة .

ومعنى أُمِّيَّتِه : أنه لم يكن يحسن الكتابة ، ولا يقرؤها ، فقرأ على أصحابه العربِ أقاصيصَ الأمم الخالية على ما أنزلها الله عز وجل عليه ، ثم كرّرها على فريق بعد فريق بألفاظها لا بمعانيها ، وليس في عُرف الناس أن يَسْردَ حديثاً أو قصةً طويلة ثم يعيدها ـ إذا كررها ـ بألفاظها . ولكنه يزيد وينقص ، ويغير الألفاظ .

قال : فاضطرت هذه المعجزةُ القومَ إلى الإقرار بنبوته ، وأن القرآنَ الذي تلاه عليهم من عند الله ، وأن الله تعالى ثبَّتَ به فؤادَه ، وحفظه عليه .

قال الله عز وجل ـ يذكر هذه الآية يُلزِمهم الحجةَ ويخاطبُ نبيَّه ﷺ ـ : ﴿ وَمَا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١ : ٣٩٠).

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (١٠٨ – ١٠٩ ف ١٨٦ – ١٨٩) وانظر : تهذيب اللغة (١٥ : ٦٣٦ – ٦٣٧).

كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ يقول : لو كنت - يا محمد - تخط بيمينك - أي تكتب - أو كنت ممن يقرأ المكتوب لارتاب فيكَ من بعثتُك إليهم ، فلما كنتَ لا تخطُّ ولا تقرأ ، وتتلو مع ذلك عليهم كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : كان ذلك برهاناً دالّاً على أنه تنزيل من حكيم حميد .

وقيل للذي لا يكتب ولا يقرأ : أُمِّيّ ، لأنه على جِبِلَّتِهِ التي ولدته أُمُّه عليها ، والكتابةُ مكتسبةٌ متعلَّمةٌ ، وكذلك القراءة من الكتاب.اهـ.

وقال النحاس رحمه الله تعالى في (معاني القرآن الكريم)[1] : الأُمِّيُّ : الذي لا يكتب .

وقيل : نُسب النبيُّ ﷺ إلى أم القرى ، وهي مكة .

وقال في موضع آخر[2] : الأُمِّيّون : مشركو العرب ، كأنهم نسبوا إلى الأم ، لأنهم بمنزلة المولود ؛ على أنهم لا يكتبون .

وقيل : هم منسوبون إلى أم القرى ، وهي مكة .

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر[3] : نُسبوا إلى ما عليه الأُمَّة من قبل أن يتعلموا . وقيل : نسبوا إلى الأُم . ومنه ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ .

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في موضع آخر[4] : قال قتادة : كانت صفةُ النبيِّ ﷺ أنه لا يكتب بيمينه ، ولا يتلو كتاباً ، فذلك آية بينة .

---

(١) معاني القرآن الكريم (٣ : ٨٩).

(٢) معاني القرآن الكريم (١ ٣٧٤).

(٣) معاني القرآن الكريم (١ : ٤٢٥ - ٤٢٦).

(٤) معاني القرآن الكريم (٥ : ٢٣٢).

وقال الراغب رحمه الله تعالى في مفردات ألفاظ القرآن[1] : الأُمِّيُّ هو الذي لا يكتب ، ولا يقرأ من كتاب . وعليه حُمِل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ .

قال الفراء : هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب .

وَ ﴿ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ .

قيل : منسوب إلى الأُمَّة الذين لم يكتبوا ، لكونه على عادتهم ، كقولك : عامّي ، لكونه على عادة العامة .

وقيل : سمي بذلك لأنه لم يكتب ، ولا يقرأ من كتاب ، وذلك فضيلة له ، لاستغنائه بحفظه ، واعتماده على ضمان الله منه ، بقوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ .

وقيل : سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى.اهـ.

وقال الواحدي رحمه الله تعالى[2] ـ بعدما ذكر قول الزجاج الأول الذي ذكرتُه ـ : وقال غيره : قيل للذي لا يكتب أُمِّيّ : لأن الكتابةَ مكتسبة ، أي هو على ما ولدته أُمُّه لم يتعلم الكتابة .

وقال رحمه الله تعالى[3] : عند تفسير قوله تعالى من سورة الجمعة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ : يعني العرب . وكانت أُمَّةً أُمِّيَّةً ؛ لا تكتب ولا تقرأ ، ولم يُبْعث إليهم نبي.اهـ.

وقال أبو مظفر السمعاني رحمه الله تعالى[4] : الأُمِّيُّ الذي لا يقرأ ولا يكتب .

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (٨٧).

(٢) الوسيط (١ : ١٦١ – ١٦٢).

(٣) الوسيط (٤ : ٢٩٤).

(٤) تفسير السمعاني (١ : ٥٢٨ – ٥٢٩).

وفي اشتقاقه قولان :

أحدهما : أنه من الأُم ، فالأُمِّيُّ باقٍ على ما انفصل من الأم .

والثاني : من الأُمَّة ، وهي الخِلْقة . ومنه قول الشاعر :

وإنَّ معاويةَ الأَكْرَمِين حسانُ الوُجوه طوالُ الأُمَم

يعني : بني معاوية ، وطوال الأُمَم : أي الخَلْق .

فالأُمِّيُّ : باقٍ على ما كان عليه من أصل الخلقة.اهـ.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى[1] : الأُمِّيُّ : الذي لا يقرأ ولا يكتب .

قيل : نُسب بصفته تلك إلى أُمِّه ، إذ هي صفة النساء ، وشأنُهن غالباً ، فكأنه مثلها.اهـ.

وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في غريب الحديث[2] : قوله : « بُعثتُ إلى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ »[3] : هي التي تنسب إلى الأم ، لم تتعلم الكتابة.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في زاد المسير[4] : الأُمِّيُّ : الذي لا يكتب ولا يقرأ ، قاله مجاهد .

وفي تسميته قولان :

أحدهما : لأنه على خلقة الأُمَّة التي لم تتعلم الكتاب ، فهو على جِبِلَّتِه . قاله الزجاج .

والثاني : أنه ينسب إلى أُمِّه ، لأن الكتابة في الرجال كانت دون النساء .

---

(١) مشارق الأنوار (١ : ١١٠) ط المغرب .

(٢) غريب الحديث (١ : ٤١).

(٣) سيأتي تخريجه كاملاً إن شاء الله تعالى في الدليل الرابع .

(٤) زاد المسير (١ : ٩٠).

وقيل : لأنه على ما ولدته أُمُّه.اهـ.

وقال الإمام أبو موسى المديني رحمه الله تعالى[1] : قوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ قيل : لأنه على أصل ولادة أُمِّه ، لم يتعلم الكتابة ولا القراءة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ... ﴾ الآية . وقوله ﷺ : « إِنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ؛ لا نكتب ولا نحسب ».

وقيل : لأنه مخصوص بنزول أم الكتاب عليه .

والثالث : لأنه من أم القرى ؛ مكة .

الرابع : لأنه رجع طاهراً إلى الله تعالى كما ولدته أُمُّه .

الخامس : إن شفقَتَه كشفقة الأُم على ولدها .

السادس : إنه منسوبٌ إلى الأُمَّةِ ، فحُذِفت منه التاء ، كالنسبة إلى رسول الله ﷺ : السنة : سني ، لكثرة ما يقول أُمَّتي ، أُمَّتي.اهـ.

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى في الفائق[2] : نُسب الأُمِّيُّ إلى أُمَّةِ العرب ، حين كانوا لا يحسنون الخط ، ويخطُّ غيرُهم من سائر الأمم ، ثم بقي الاسمُ ، وإن استفادوه بعد .

وقيل : نُسب إلى الأُم ، أي هو كما ولدته أُمُّه.اهـ.

وقال في الكشاف[3] : الأُمِّيُّ : منسوب إلى أُمَّةِ العرب ، لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم .

---

(١) المجموع المغيث (١ : ٩٠ - ٩١).

(٢) الفائق (١ : ٥٦).

(٣) الكشاف (٤ : ٩٦).

وقيل : بدأت القراءة بالطائف ، أخذوها من أهل الحيرة ، وأهل الحيرة [أخذوها] من أهل الأنبار .

ومعنى ﴿ بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ بعث رجلاً أُمِّيّاً في قوم أُمِّيِّين ،...اهـ.

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية[1] ـ عند قوله ﷺ : « إِنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ؛ لا نقرأ ولا نحسب » ـ : أراد أنهم على أصل ولادة أُمِّهم ، لم يتعلموا الكتابة والحساب ، فهم على جِبِلَّتهم الأولى .

وقيل : الأُمِّيُّ : الذي لا يكتب .

ومنه الحديث : « بُعثتُ إلى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ » قيل للعرب : الأُمِّيّون ، لأن الكتابة كانت فيهم عزيزةً أو عديمةً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ... ﴾.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في جامع الأصول : الأُمِّيَّةُ : التي لا تكتب ولا تقرأ .

وقيل : هو منسوب إلى الأم ، أي أنها على أصل ولادتها ، لم تتعلم الكتاب.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في موقع آخر[2] : الأُمِّيّون : جمع أُمِّيّ ؛ وهو الذي لا يكتب ، منسوب إلى ما عليه أُمَّةُ العرب ، وكانوا لا يكتبون .

وقيل الأُمِّيُّ : الذي على أصل ولادة أُمِّه ، لم يتعلم الكتابة ، فهو على جِبِلَّته التي ولد عليها.اهـ.

وقال الإمام المطرزي رحمه الله تعالى في المغرب[3] : الأُمِّيُّ في اللغة : منسوب إلى أُمَّةِ العرب ، وهي لم تكتب ولا تقرأ ، فاستعير لكل من لا يعرف الكتابة ولا القراءة.اهـ.

---

(١) النهاية في غريب الحديث (١ : ٦٨).

(٢) جامع الأصول (٢ : ٤٨٣).

(٣) المغرب (١ : ٤٥).

قال ابن منظور رحمه الله تعالى في لسان العرب[1] : الأُمِّيُّ : الذي لا يكتب .

قال الزجاج : الأُمِّيُّ : الذي على خِلْقَة الأُمَّةِ ، لم يتعلم الكتاب ، فهو على جبلَّته .

وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[2].

قال أبو إسحٰق : معنى الأُمِّي : المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أُمُّه ، أي لا يكتب ، فهو في أنه لا يكتب أُمِّي ، لأن الكتابةَ هي مكتسبةٌ ، فكأنه نُسب إلى ما يُولد عليه ، أي ما ولدته أُمُّه عليه ، وكانت الكُتّاب في العرب من أهل الطائف ، تعلموها من رجل من أهل الحِيرة ، وأخذها أهلُ الحيرة من أهل الأنبار .

وفي الحديث « إنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ؛ لا نكتب ولا نحسب » أراد أنهم على أصل ولادة أُمِّهم ، لم يتعلموا الكتابة والحساب ، فهم على جبلَّتِهم الأولى .

وفي الحديث « بُعثتُ إلى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ ».

قيل للعرب : الأُمِّيّون ، لأن الكتابة فيهم عزيزةٌ ، أو عديمةٌ .

ومنه قوله : ﴿ بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾.

والأُمِّيُّ : العَيي الجِلف الجافي القليلُ الكلام ، قيل له أُمِّيّ : لأنه على ما ولدته أُمُّه ؛ عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان .

وقيل لسيدنا محمد رسول الله ﷺ : الأُمِّي ، لأن أمة العرب لم تكن تكتب ، ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ، ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخِلة إحدى آياته المعجزة ، لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوماً ، تارة بعد أخرى ، بالنظم الذي أُنزل عليه ، فلم يُغيِّره ، ولم يُبَدِّل ألفاظَه ، وكان الخطيب

---

(١) لسان العرب (١٢ : ٣٤).

(٢) سورة البقرة (٧٨).

من العرب إذا ارتجل خُطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص ، فحفظه الله عز وجل على نبيه كما أنزله ، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم بها . ففي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[1]. الذين كفروا ، ولقالوا : إنه وَجَد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب.اهـ.

وسيأتي التنبيه إن شاء الله تعالى على الفارق بين الأمي والعيي .

وقال الإمام الخازن رحمه الله تعالى[2] : ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ يعني : العرب .

وكانت العرب أُمَّةً أُمِّيَّةً ، لا تكتب ولا تقرأ ، حتى بعث فيهم نبي الله ـ ﷺ .

وقيل : الأُمِّيُّ : هو الذي على ما خُلِق عليه ، كأنه منسوب إلى أمه.اهـ.

وقال السمين الحلبي رحمه الله تعالى في عمدة الحفاظ[3] : الأُمِّيُّ : مَنْ لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ يقال : رجل أُمِّيٌّ ، أي منسوب إلى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ ، وفي الحديث « بُعثتُ إلى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ » وهو الباقي على أصل ولادة أُمِّه ، لم يتعلم الكتابة ، فالأُمِّيُّ : منسوب إلى أُمِّه التي ولدته.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في الدر المصون[4] : أُمِّيّون جمع أُمِّي ، وهو ممن لا يكتب ولا يقرأ .

---

(١) سورة العنكبوت (٤٨).

(٢) لباب التأويل في معنى التنزيل (٧ : ٨٦).

(٣) عمدة الحفاظ (٢٦).

(٤) الدر المصون (١ : ٤٤٥).

واختلف في نسبته .

ـ فقيل : إلى الأُم . وفيه معنيان :

أحدهما : أنه بحال أُمِّه التي ولدته ، من عدم معرفة الكتابة ، وليس مثلَ أبيه ، لأن النساء ليس من شغلهن الكتابة .

والثاني : أنه بحاله التي ولدته أُمُّه عليها ، لم يتغير عنها ، ولم ينتقل .

ـ وقيل : نسب إلى الأُمَّة ، وهي القامة والخِلْقة . بمعنى أنه ليس له من الناس إلا ذلك .

ـ وقيل : نسب إلى الأُمَّة على سذاجتها قبل أن تعرف الأشياء ، كقولهم : عامي ، أي على عادة العامة.اهـ.

وقال في موضع آخر[1] : قوله : ﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾ العامة على ضم الهمزة .

ـ نسبةً إلى الأُمَّةِ ، وهي أُمَّةُ العرب ، وذلك لأن العرب لا تحسب ولا تكتب ، ومنه الحديث « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ؛ لا نكتب ولا نحسب ».

ـ وإما نسبةً إلى الأم ، وهو مصدر أَمَّ يؤم ، أي قصد يقصد ، والمعنى على هذا : أن هذا النبي الكريم ـ ﷺ ـ مقصودٌ لكل أحد . وفيه نظر ، لأنه كان ينبغي أن يقال : الأمي بفتح الهمزة .

ـ وقد يقال : إنه من تغيير النسب ،...

ـ وإما نسبةً إلى أم القرى ؛ وهي مكة .

ـ وإما نسبة إلى الأم ، كأن الذي لا يقرأ ولا يكتب على حالة ولادته من أُمِّه.اهـ.

وقال الإمام محمد بن علي البلنسي رحمه الله تعالى في تفسير مبهمات القرآن

---

(١) الدر المصون (٥ : ٤٧٨ – ٤٧٩).

الكريم[1] : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾ معلوم أنه محمد عليه الصلاة والسلام .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ جعله الله تعالى أُمِّيّاً ، لا يكتب ، ومن أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ ، لئلا يرتاب فيما جاء به من علم الأولين والآخرين ، أو يقال : إنه درسه في الكتب المتقدمة . فكونه أُمِّيّاً أبين لحجته ، وأوضح لبرهانه .

وقيل للأُمِّيِّ : أُمِّيٌّ . لأنه منسوب إلى الأُم ، كأنه لم يفارق الأم ، فلم يتعلم .

وقيل : إنه منسوب إلى الأُمَّة ، كما تقول : عامي ، منسوب إلى عامة الناس ، أي لم يتخصص.اهـ.

وقال في موضع آخر[2] : الأُمِّيُّ منسوب إلى الأُم ، كأنه لم يزل عن جهله الذي كان عليه إذ كان في حجرها ، ولم يتعلم القراءة ، ولم يطالع الكتاب.اهـ.

وقال الفيروزأبادي رحمه الله تعالى في القاموس المحيط[3] : الأُمِّيُّ والأُمّان : من لا يكتب ، أو من على خِلقة الأُمّة ، لم يتعلم الكتاب ، وهو باق على جبلته .

وقال في البصائر[4] : قد ورد في القرآن على ثلاثة أوجه :...

الثالث : بمعنى النبي المصطفى ﷺ : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ .

قيل : هو منسوب إلى الأُمّة الذين لم يكتبوا ، لكونهم على عادتهم ، كقولك : عامي ، لكونه على عادة العامة .

وقيل : سُمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وذلك فضيلة

---

(١) تفسير مبهمات القرآن (١ : ٤٩١).

(٢) تفسير مبهمات القرآن (١ : ١٦٢).

(٣) القاموس المحيط (٤ : ٧٦) وانظر : شرحه تاج العروس للزبيدي (٨ : ١٩١) حيث استدرك عليه .

(٤) بصائر ذوي التمييز (٢ : ١٥٩).

له ، لاستغنائه بحفظه ، واعتماده على ضمان الله منه بقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ .

وقيل : سمي لنسبته إلى أم القرى . والله أعلم.اهـ.

وجاء في الإفصاح في فقه اللغة[1] : الأُمِّيُّ : من لا يكتب ، أو من على خِلقة الأُمَّةِ لم يتعلم الكتاب ، وهو باق على جِبِلَّته.اهـ.

هذه أهم النصوص التي ذكرتها ، وتركت غيرها عند أهل اللغة ، أما علماء التفسير ـ خاصة ممن لهم عناية باللغة ـ فلم أذكر شيئاً من أقوالهم ، سوى عن عالمين ؛ هما : ابن الجوزي والزمخشري رحمهما الله تعالى ، وذلك لوجود مؤلفات لهما في غريب الحديث . وثالث : هو الإمام الخازن رحمه الله تعالى ـ وقد تركت أقوال الآخرين كابن حيان والبيضاوي وغيرهما رحمهم الله تعالى إلى بحث الأدلة ، حيث سأشير إلى مؤلفات هؤلاء في التفسير إن شاء الله تعالى .

وقبل ختام هذه الفقرة أبين ما يلي :

أولاً : يكاد يكون إطباق علماء اللغة على أن الأُمِّيَّ يطلق على معنيين يرجعان إلى معنى واحد ، وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب .

أحدهما : هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وهو الذي ذكره : الزجاج ، والأزهري ، والنحاس ، والراغب ، والواحدي ، والسمعاني ، والقاضي عياض ، وابن الجوزي ، وأبو موسى المديني ، والزمخشري ، وابن الأثير ، والمطرزي ، وابن منظور ، والسمين الحلبي ، والبلنسي ، والفيروزأبادي ،... رحمهم الله تعالى .

والثاني : هو الذي لا يكتب ، وهو الذي ذكره : معمر بن المثنى ، والهروي ، وابن قتيبة ، والزجاج ، والنحاس ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن الأثير ، وابن منظور ، والبلنسي ، والفيروزأبادي ،... رحمهم الله تعالى .

---

(١) الإفصاح في فقه اللغة (١٠٣).

والذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أنه لا تعارض بين القولين .

وذلك أن الذين ذكروا أن الأُمّيَّ هو الذي لا يكتب . أو قالوا : لم يتعلم الكتاب ، عندما شرحوا قالوا : لا يقرأ ولا يكتب . أي أنه ذكر القولَ الأولَ في كتاب ، ثم ذكر القولَ الثاني في كتاب آخر ، أو ذكر الأولَ في موضع من كتابه ، ثم ذكر الثاني في موضع آخر . ولهذا ذكرتُ لعدد من الأئمة أكثرَ من قول .

فانظر قول الزجاج رحمه الله تعالى مثلاً : حيث قال معنى الأُمِّيّ في اللغة : المنسوب إلى ما عليه جِبِلَّةُ أُمَّتِه ، أي لا يكتب... ثم قال : والنبيُّ ﷺ لم يكن يكتب ، ولا يقرأ ،...

وقول النحاس رحمه الله تعالى حيث قال : الأُمِّيُّ : الذي لا يكتب . ثم نقل في موضع آخر عن قتادة رحمه الله تعالى أن النبيَّ ﷺ كان لا يكتب بيمينه ، ولا يتلو كتاباً .

وقول الواحدي رحمه الله تعالى حيث نقل عن بعضهم قولَه : قيل للذي لا يكتب أُمِّيٌّ ، لأن الكتابة مكتسبة ،... ثم قال في موضع آخر : العرب : وكانت أُمَّةً أمِّيَّةً ؛ لا تكتب ولا تقرأ .

وقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى ، حيث قال في غريب الحديث : الأُمِّيَّةُ : لم تتعلم الكتابة . بينما قال في الزاد : الأُمِّيُّ : الذي لا يكتب ولا يقرأ .

وقول الزمخشري رحمه الله تعالى ، حيث قال في الفائق : نُسب الأُمّيُّ إلى أُمَّة العرب ، حيث كانوا لا يحسنون الخط . وقال في الكشاف : الأُمّيُّ منسوب إلى أمة العرب ، لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون .

وقول ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية : الذي لا يكتب . بينما قال في جامع الأصول : التي لا تكتب ولا تقرأ .

وقال ابن منظور رحمه الله تعالى : الأُمِّيُّ : الذي لا يكتب ، ثم قال بعد قليل : لأن أُمَّةَ العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب .

وهكذا قول البلنسي والفيروزأبادي رحمهم الله تعالى جميعاً .

فهم ذكروا القول الثاني اختصاراً ، ثم ذكروا الأولَ أثناء التفصيل . وهذا هو الأصل في معنى الأُمِّيّ . وهذا ما وصف الله سبحانه وتعالى به نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ ثم بيَّنه تعالى له حيث قال له : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ حيث ذكر التلاوةَ ـ وهي القراءةُ ـ والخطَّ ـ وهو الكتابةُ .

نعم قد يوجد في بعض عوام المسلمين من يقرأ في المصحف الشريف ، ولكنه لا يقرأ رسماً آخر ، ولا يعرف يكتب كلمة واحدة . وهذا من خصائص القرآن الكريم . لذا لا يجري هذا الحكم ولا يعمم ، والله تعالى أعلم .

ثانياً : اختلفوا في نسبة هذا الوصف ، مع اتفاقهم على أنه الذي لا يكتب ولا يقرأ ، على أربعة أقوال رئيسة ، مع وجود قول آخر .

١ ـ نسبة إلى أُمِّه التي ولدته ، حيث إن الكتابة كانت في الرجال دون النساء ، حيث لم يكن من شغلهن الكتابة . أو أنه باق على حاله الذي ولدته أُمُّه عليها ، لم يتغير عنها ولم ينتقل .

وهذا ما ذكره الهروي ، والنحاس ، والواحدي ، والسمعاني ، والقاضي عياض ، وابن الجوزي ، والخازن ، والسمين ، والبلنسي ، رحمهم الله تعالى ،...إلخ.

٢ ـ مأخوذ من أُمَّتِه الأُمِّيّةِ ؛ بمعنى خِلْقَتِه ، أو جِبِلَّتِه ، فهو باق على ما كان عليه من أصل الخلقة لم يتعلم ، فهو على جِبِلَّتِه قبل أن يتعلم .

وهذا ما ذكره الهروي ، والزجاج ، والأزهري ، والنحاس ، والراغب ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، وأبو موسى المديني ، وابن الأثير ، وابن منظور ، والسمين الحلبي ، والبلنسي ، والفيروزأبادي ، رحمهم الله تعالى ،...إلخ.

٣ ـ نسبة إلى الأُمَّةِ . سواء إلى جماعته ، أو إلى أُمَّة العرب . لأن معظمهم لا يقرؤون ولا يكتبون ، وهم يعتمدون على الحفظ دون الكتاب .

وهذا ما ذكره الهروي ، وابن قتيبة ، والأزهري ، والزمخشري ، وابن الأثير ، والمطرزي ، والخازن ، والسمين ، والفيروزأبادي ، رحمهم الله تعالى ،...إلخ.

٤ ـ نسبة إلى أم القرى . وهذا ما ذكره النحاس ، والراغب ، وأبو موسى المديني ، والسمين ، والفيروزأبادي ، رحمهم الله تعالى .

٥ ـ هناك نسب أخرى ذكرها أبو موسى المديني رحمه الله تعالى . كما ذكر السمين نسبةً أخرى لكنه تعقبها . وتلك المذكورات لم أر لغير السمين الحلبي رحمه الله تعالى ذكر لها .

لكن أغلب أقوال العلماء ذكروا الثلاثةَ الأول ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً : ذكر بعض العلماء كثعلب والفيروزأبادي والزبيدي رحمهم الله تعالى أن من معاني الأُمِّيِّ هو : الغبي ـ العيي ـ الجلف الجافي القليل الكلام ، الجاهل .

قلت : ولا وجه لما قاله هؤلاء في كون هذه الصفات من أسماء أو اشتقاق الأُمِّي . لأنه لا تلازم بينها وبين الأُمِّي .

فالجهالة : مقابل العلم ، وليست مرتبطةً بالكتابة . إذ نرى كثيراً من العلماء والخطباء والبلغاء هم أُمِّيّون ؛ لا يقرؤون ولا يكتبون ، كالأعمى مثلاً .

والعي : مقابل الفصاحة ، وكثرةِ الكلام ، وهي ضد البيان ، ولا ارتباط لها بالأُمِّيَّة ، فقد يكون القارئ والكاتب بل العالم الحافظُ عَيِيّاً ، لا يفصح في حديثه ، ولا يكثر من كلامه .

والجافي : ضد الرقة والظرف ، فهو سيء الخُلُق ، من الجفاء ، ولا ارتباط له بالأُمِّيَّة ، بل قد يكون الأُمِّيُّ ظريفاً رقيقاً ، وقد يكون المتعلم الكاتب القارئ سيءَ الخُلُق .

ومثله الجلف : فهو ضد الليونة ، لأنه الأحمق ، الغليظ الطبع والخُلُق . ولا ارتباط له ـ هو الآخر ـ بالأُمِّيّةِ .

فمن الممكن أن يكون الأُمِّيُّ جاهلاً ، وعييّاً ، وجِلْفاً ، وجافياً ، وقد يكون لا .

يضاف إلى هذا أن مثل هذه الأوصاف عيبٌ في الإنسان ـ وأيما عيب ـ بخلاف الأُمِّيّة ، فليست عيباً دائماً في الإنسان . واتصافُ النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأُمِّيَّةِ صفةٌ مميزةٌ له عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، وعلامةٌ بارزة عليه ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

لذا فاعتماد مثل هذه العبارات في معنى الأُمِّيِّ غير صحيح ، لأنه لا تلازم بينهما ، كما هو معلوم وظاهر ، والله تعالى أعلم .

رابعاً : خلاصة الأمر أن الأُمِّيَّ : هو الذي لا يقرأ ولا يكتب . وهي صفةُ النبي المصطفى الكريم ﷺ . مع انطباق كل الاشتقاقات المذكورة الأساسية .

ـ فهو ﷺ من أُمَّةِ العرب الأُمِّيِّين ؛ الذين لا يقرؤون ولا يكتبون .

ـ ثم هو ﷺ وُلِدَ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وبقي كذلك حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

ـ ثم إن أُمَّه ﷺ التي ولدته ـ آمنة ـ كانت أُمِّيَّةً ، لم تقرأ ولم تكتب هي الأخرى .

ـ ثم بقي ﷺ على جِبِلَّتِهِ التي عليها وُلد ، لم يتعلم القراءةَ والكتابة ، أي على ما ولدته أُمُّه ـ بأبي هو وأمي ـ ﷺ ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

المبحث الثالث
الحكمة من إرساله صلى الله عليه وآله وسلم أُمّيّاً

هناك عوامل عدة يصلح أن تكون سبباً ـ فيما يبدو لي والله تعالى أعلم ـ لإرساله ﷺ أُمِّيّاً منها :

أولاً : لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه ما أرسل رسولاً من البشر إلا بلسان قومه ، فقال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[1].

وهؤلاء الرسل هم من البشر ، وهم من نفس الأقوام الذين أرسلوا إليهم ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾[2].

وقال الله جل شأنه عن رسوله النبي المصطفى الكريم ﷺ : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾[3].

ولما كان النبي المصطفى الكريم ﷺ من قريش ، وقريشٌ من العرب ، ولم يكن في العرب قبيل البعثة من يعرف القراءة والكتابة ـ إلا القليل النادر ـ فهم أُمِّيّون ، لذا أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ من قومه ، فهو أُمِّيٌّ مثلهم ، حتى تكون حاله الكريمة ﷺ مشاكلةً لأحوالهم ، ويكون أقرب إلى موافقتهم ، إذ لو أرسله متعلماً ، لوجدوا فيه مغايرة لما هم عليه ، ولنفروا منه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة إبراهيم (٤).

(٢) سورة النحل (٨٩).

(٣) سورة التوبة (١٢٨).

قال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ... ﴾[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ - في قصة رؤية الهلال - : « إنّا أُمةٌ أُمِّيَّةٌ ؛ لا نكتب ولا نحسب ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

لهذا لما اقتضت الحكمة الإلهية أن يُبعَثَ كلُّ رسول بلسانِ وحال قومه ، اقتضت أن يكون مثلَهم أيضاً . لذا ناسب أن يكون أُمِّيّاً مثلَهم أيضاً ، والله تعالى أعلم .

ثانياً : إن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمتُه أن يكون كلُّ رسولٍ متميزاً عن قومه فيما كانوا قد اشتهروا به ، فيأتيهم بآية من جنس ما هم يتميزون به ، وإن كان غير متصف بما تميزوا به ، ليمتاز عنهم .

وهكذا كان رسول الله ﷺ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[3].

فخص الله عز وجل كلَّ نبي بآية تتناسب مع وضع قومه ، وعقليتهم ، وذكائهم ، وما اشتهروا به ،... فتكون تلك الآية على وفق ما هم فيه ، ولا يشترط أن تكون حاله مطابقة لحالهم ، أو يكون عالماً بما هم فيه .

فمثلاً : لما بُعث موسى عليه السلام ، وهو ذاهب من مدين إلى مصر ، وكان

---

(١) سورة الجمعة (٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قول النبي ﷺ : « لا نكتب ولا نحسب ». وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ، وأفطروا لرؤيته ... رقم (١٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كيف نزل الوحي . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ،... رقم (٢٣٩).

قد اشتهر أهلُ مصر في زمن الفراعنة بالسحر ، حتى بلغوا فيه الغاية ، أعطى الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام آيةً ـ وهي العصا ـ تعمل ما يفعلون من غير سحر ، وما عَلِم موسى عليه السلام السحرَ ، ولا تعاطاه ، وما ينبغي له ، لأنه لا يجوز . فكانت عصاه عليه السلام تلقف السحرَ الذي سحروا به أعين الناس واسترهبوهم فيه . كما ألقاها فانقلبت حيةً تسعى . وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً من المياه . وضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . فهي تلقف السحر ، وليس بسحر ، وما تعلَّم موسى عليه السلام السحر .

فكانت آيته عليه السلام التي أقام الله تعالى بها الحجةَ على قومه : هي من جنس ما اشتهر به وبرعوا فيه ، وإن كان موسى عليه السلام لم يتعلم السحرَ ، وما عَرف جزئياته ودقائقَه ، وما ينبغي له ذلك ، لأنه حرام ، ولكن الله تعالى أجرى على يديه ما يفعله السحرُ ، لكن أعلى وأرقى ، وأضعاف أضعاف ما يفعله السحر ، بحيث يعجز السحر عن مقارعة تلك الآية ، ولا يقوى على مقابلتها .

ولما كان في زمن عيسى عليه السلام قد اشتهر أهلُ فلسطين وبنو إسرائيل بالطب ، وبلغوا فيه الغاية . ناسب أن تكون آيةُ عيسى عليه السلام التي يُقيم الله تعالى بها الحجةَ على قوم عيسى من جنس ما برعوا به ، وتميّزوا فيه . فأعطاه الله تعالى أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى ، ويحيي الموتى بإذن الله . فَعِلْمُهم يقف دون ذلك بكثير ، إذ مهما بلغ الطب من القدرة على العلاج ، فإنه لا يُحيي موتى ، ولا يخلق حيواناً من طين . كما أنه لن يستطيع أن يبرئ مريضاً ـ مهما كان مرضُه خفيفاً ـ بلحظة واحدة .

فكانت آيته عليه السلام التي أقام الله تعالى بها الحجةَ على قومه : هي من جنس ما اشتهروا به وبرعوا فيه ، وإن كان عيسى عليه السلام لم يتعلم الطب ، ولا عرف جزئياته ودقائقه . ولكن الله سبحانه وتعالى يجري على يديه ما يفعله الطبُّ ، لكن مع أضعاف أضعافه وبالسرعة الخاطفة ، وبقدرة يعجز عنها الطب ، لأن ذلك كله ـ كما هو منطوق الآيات الكريمة ـ ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .

ولما كان العرب في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ قد اشتهروا بالفصاحة والبلاغة والخطابة والشعر والقريض ،... حتى عقدوا الأسواق لها ، كسوق عكاظ ، وذي المجاز ،... وتباهوا فيما بينهم بذلك ،... ناسب أن تكون آيةُ رسول الله ﷺ المستمرة على منوال ما هم فيه . كما ناسب أن يكون مثلَهم أُمِّيّاً ، حتى لا يقال بأنه أتى به من معلِّم ، لذا جاء هذا القرآن ـ وهو وحي من عند الله تعالى ـ متحدِّياً العرب بفصاحته ، وبلاغته ، وأسلوبه ، ونظمه ،... فلما جاءهم به عجبوا له أشد العجب ، حتى لم يعرفوا كيف يصفونه .

وقد ذكر لنا أصحابُ السير والمغازي أقوالاً كثيرة لعدد من زعماء قريش الكبار ما قالوه في هذا القرآن الكريم وفي رسول الله ﷺ .

فعندما اجتمع كفار قريش عند الوليد بن المغيرة قبيل الحج ، ليعرفوا رأيه حتى يصدروا عنه ؛ قال لهم : قولوا أَسمع ، قالوا : نقول : كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه . قالوا : فنقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقِه ولا تخالجِه ولا وسوستِه . قالوا : فنقول : شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كلَّه ؛ رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : نقول : ساحر . قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحّار وسحرَهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم .

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله لحلاوة ، إن أصله لغدق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر[1].

وقال عتبة بن ربيعة لقومه - بعد سماعه من النبي ﷺ سورةَ (فصلت) قال : إني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ،... قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه[2].

ولما كان عدد من زعماء قريش منهم : أبو سفيان ، والأخنس بن شريق ، وأبو جهل ،... يستمعون من رسول الله ﷺ ليلاً من غير أن يعلم أحدهم بالآخر حتى أصبحوا ، فلما رأى بعضهم بعضاً تعاهدوا أن لا يعودوا . وقد تكرر ذلك منهم عدة ليال ، وفي آخر يوم :

ذهب الأخنس بن شريق إلى أبي سفيان فقال له : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا الذي حلفتَ به كذلك ،... إلى آخر الأقوال[3].

هؤلاء أساطين العربية وأرومتها وأساسها ، ومع هذا قالوا ما قالوا .

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١١ – ١٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ١٩٩ – ٢٠١) والسيرة النبوية لابن كثير (١ : ٤٤٩ – ٥٠٠) وسبل الهدى والرشاد (٢ : ؟٣٥٤ – ٣٥٥).

(٢) انظر : سيرة ابن هشام (٢ : ٣٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٢٠٢ – ٢٠٦).

(٣) انظر : سيرة ابن هشام (٢ : ٦٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٢٠٦ – ٢٠٧).

لذا لما عجزوا واحتاروا ، حملهم الحقد والحسد ، فقالوا : يُعلِّمه غلامٌ أعجمي ، فرد عليهم القرآن ردّاً قوياً ، فقال جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[1] .

كيف بأعجمي لا يفصح ، ولا يكاد يُفهم عليه قوله لعجمه ؛ أن يعلِّم عربيّاً صليبةً فصيحاً بليغاً ؟!! ولكنه الحسد والحقد .

لهذا تحداهم القرآن بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2] .

فلما لم يستطيعوا ؛ تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة . وأن يجمعوا جميعَ الخلق ، ليفعلوا ذلك ، فلم يقدروا على ذلك أيضاً ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[3] .

وقال جل شأنه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[4] .

فلما عجزوا عن ذلك كله وفشلوا ، أخبرهم المولى جل شأنه أن لو اجتمع الإنس والجن ، وتظاهروا على ذلك جميعاً ، فلن يأتوا بمثله أبداً ، لأنه من عند الله تعالى ؛ وليس هو من عند البشر .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا

---

(١) سورة النحل (١٠٣).

(٢) سورة هود (١٣ - ١٤).

(٣) سورة البقرة (٢٣).

(٤) سورة يونس (٣٨).

﴿ يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[1].

فكان القرآن الكريم هو معجزة رسول الله ﷺ الخالدة ، بخلاف معجزات الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام .

لكن هذا الإعجاز ليس في البلاغة والفصاحة والنظم والأسلوب ،... فحسب ، بل في معانيه ومبانيه ، وأحكامه ونصوصه ، وأخباره وتشريعاته ، وتطلعاته وقصصه ، وفي علومه كلها ،...إلخ.

وقد قال رسول الله ﷺ ـ كما سبق ذكره ـ : «... وإنما الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ... » فليس هو كلام البشر .

ومن هنا كانت المعجزة الخالدة ، وهو أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وجابه بها أساطين العربية وشعراءها وفصحاءها وبلغاءها ،... فعجزوا ، ولم يجاروه ، ووقفوا فلم يسايروه ، وأُفحموا فلم يفهموه ، واحتاروا فلم يعرفوه ،... فكيف وقد حوىٰ علوم الأولين والآخرين ، وغيرهم ؟؟؟ والله تعالى أعلم .

ثالثاً : لقد أخبر الله سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم ـ أن صفات رسول الله ﷺ موجودةٌ في التوراة والإنجيل ـ ومن جملتها : كونه ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾.

حيث أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك موسى عليه السلام ، وذلك قبل معرفة اليهود والنصارى بذلك .

ومعنى هذا أنه ﷺ موصوف بهذه الصفة قبل نزول التوراة والإنجيل .

---

(١) سورة الإسراء (٨٨).

أما الإنجيل فواضح ؛ لأنه موصوف في التوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام ، وهو قبله بمئات السنين . وأما التوراة فإخبار الله تعالى موسى عليه السلام بأن النبي الأمي عليه وآله الصلاة والسلام موجود ذكره في توراته ، دلالة على سبق الذكر .

وهذا ما جاء على لسان موسى وعيسى عليهما السلام بأنه ﷺ نبيٌّ أُمِّيٌّ . وكذا جاء أيضاً على لسان الأحبار والرهبان : بأنه ﷺ نبيٌّ أُمّيٌّ .

لذا كانت بعثته ﷺ ـ وهو أُمِّيٌّ ـ مطابقاً لما جاء في وصفه ﷺ في الكتب السابقة بأنه أُمِّيٌّ ، ومطابقاً لبشارة الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة السلام بأنه أُمِّيٌّ ، ولما قاله أحبارُ اليهود ورهبان النصارى من أن هذه صفتُه ﷺ ، فكان الخبر مطابقاً للخُبر . ولما رأوه ﷺ بها ـ مع جملة صفاته الأخرى ـ عرفوه بها جميعاً ، فآمن من آمن طواعيةً فسعد ، وخالف من شقي عناداً وحسداً فهلك .

رابعاً : كان ﷺ أفصحَ الناس وأبلغهم وأعلمهم وآدبهم ،... وكل ذلك من غير معلِّم ولا تعلُّم ، إنما هو الله تعالى أدبه فأحسن تأديبه ، حيث قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1].

حيث بيّن الله جلت قدرته فضلَه الكبير العظيم على رسوله المصطفى ﷺ ، والذي تمثل في هذه الآية بثلاثة أمور:

١ ـ هَمّ طائفة ممن يختانون أنفسهم ـ وهم من أقارب طُعمة بن أبيرق ـ أن يجعلوك تزل في الحكم ، فتميل إليهم ضد اليهودي ، الذي ادعى طعمةُ أنه سرق

---

(١) سورة النساء (١١٣).

الدرع ، ولكن الله سبحانه وتعالى ثبَّتك وأيَّدك وعصمك ، وهم الذين يجادلون عن الظَّلَمَةِ ، ويفعلون فعل الضالين .

٢ ـ إنزال الله تعالى على رسوله ﷺ الكتاب ـ وهو القرآن الكريم ـ والحكمة ـ وهي السنة النبوية ـ والسنة النبوية وحي[١] وهي منزّلة على رسول الله ﷺ ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾[٢] حيث أفرد الضمير في ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ ، بينما ذكر قبله اثنين ﴿ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ .

ويوضح ذلك قوله ﷺ ـ كما سبق ذكره ـ «... وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ». متفق عليه ، وقد توسعت في بيان ذلك في غير ما كتاب من كتبي .

٣ ـ تفضل المولى تعالى على رسوله ﷺ بأن علَّمه ما لم يعلم ، وكان فضل الله تعالى عليه عظيماً .

فلو قُدِّر لرسول الله ﷺ بأن تتأخر بعثتُه حتى يتعلم الناس ، أو إلى أن يتعلم هو ﷺ ، لما استطاع أن يزيد في شرع الله تعالى حرفاً عما هو عليه ، ولا أن يزيد في دين الله تعالى حكماً من عند نفسه ، كما لن يستطيع أن يزيد في حديثه حديثاً ، لأن الدِّين كلَّه لله تعالى ، أكمله وأتمه ، وليس هو من صنع البشر . لذا فلا دخل لتعلُّمِ رسول الله ﷺ أو أُمِّيَّته في دين الله تعالى وشرعه ، لأنه ﷺ مبلِّغٌ عن الله تعالى ما يريد ـ وقد بلّغ ـ لكن بقاءه أُمِّيّاً ـ لا يقرأ ولا يكتب ـ أقوى دلالة على صحة نبوته ، وعلى أن الشرع كله من عند الله تعالى ؛ أكمله وأتمه ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٣]

---

(١) انظر : السنة النبوية وحي ، ومختصره ، وشبهات حول السنة ودحضها ، ونشأة علوم الحديث ، حيث توسعت في بيان ذلك . خاصة الأول منها .

(٢) سورة البقرة (٢٣١).

(٣) سورة المائدة (٣).

فكانت أُمِّيته ﷺ مع إتمام الدِّين وكماله ،... أقوى دلالةً على صدقه ، وصحة نبوته ، وبيان رسالته...

خامساً : لو كان النبي المصطفى الكريم ﷺ قارئاً كاتباً ؛ لاتُّهم بأنه أخذ دينَه وكتابَه من أهل الكتاب ، وذلك مع كونه ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وقد عرفت قريش مدخلَه ومخرجَه ، وصباه وشبابَه ، ورجولتَه وكهولتَه ، وحَرَه وسفرَه ، ورعيَه للغنم ـ صغيراً ـ وتجارتَه ،... وهم يعلمون علم اليقين بأنه ﷺ لم يتعلَّم عند معلِّم ، ولم يجلس في كُتّابٍ ، بل لم يكن في مكة المكرمة ـ آنذاك ـ مدرسةٌ ولا معلِّم ولا كاتب من أهلها ـ إلا القليل النادر ، الذين يعدون على الأصابع ـ ولا كُتّاب ،... ومع هذا فقد قالوا : يعلِّمه بشر ، وقالوا : أساطير الأولين تملى عليه . حتى ردّ الله تعالى عليهم ردّاً شديداً ، أبان فيه حماقتهم وجهلهم وكذبهم ، مع بيان الفارق ، كيف لعجمي لا يعرف العربية يعلم عربياً فصيحاً العربيةَ ؟!!

فقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[1].

وقال جل شأنه : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2]...إلخ.

هذا مع أن النبي المصطفى الكريم ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وقالوا ما قالوا ، فكيف لو كان قارئاً كاتباً ؟ لذا فإن بعثته ﷺ ـ وهو أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا

(١) سورة النحل (١٠٣ – ١٠٥).

(٢) سورة الفرقان (٥ – ٦).

يكتب ـ بأبي هو وأمي ﷺ ـ كانت أنفى لسوء الظن في تعليمه ما دعا إليه من الكتب السابقة ، وأهل الكتاب السابقين ، والله تعالى أعلم .

سادساً : لقد تكفل المولى سبحانه وتعالى بحفظ هذا الوحي المنَزَّل على رسوله ﷺ ، بخلاف ما حصل للكتب السابقة ، حيث وَكَلَ الله سبحانه وتعالى أَمْرَ حِفْظِها إلى علمائهم وأحبارهم ورهبانهم ؛ لذا غيّروا وبدّلوا ، أما هذا الدين فقد تكفل الله تعالى بحفظه ، كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

ومن هذا التكفل الذي تعهد الله تعالى به : أن يحفظ هذا الوحي من أي أثر بشري أو دنيوي . لذا أرسل الله سبحانه وتعالى رسولَه المصطفى الكريم ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ؛ حتى لا يكون أدنى شبهة في ذلك ، وإنما هو الوحي الذي ينزل عليه ﷺ ، وإنما عليه اتباعه ، وبهذا جاءت النصوص القرآنية تبين ذلك .

علماً بأن تلك النصوص جاءت على نوعين :

الأول : الأمر من الله سبحانه وتعالى له ﷺ باتباع الوحي ، كما في قوله جل شأنه : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[3] في آيات متعددة .

والنوع الثاني : إخبار منه ﷺ أنه يتبع ما يوحىٰ إليه . كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾[4] وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ

---

(١) سورة الحجر (٩).

(٢) سورة الأحزاب (٢).

(٣) سورة الأنعام (١٠٦).

(٤) سورة الأعراف (٢٠٣).

نَفْسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴾[1] في آيات متعددة أيضاً ، والله تعالى أعلم .

سابعاً : لقد أعطى الله سبحانه وتعالى رسولَه المصطفى الكريم ﷺ كمالات العقل والإدراك والدربة والفهم ،... وجمع له كمالَ الخَلْق والخُلق ، سواء كان ضرورياً دنيوياً ، اقتضته الجِبِلَّةُ ، وضرورةُ الحياة الدنيا ، أو مكتسَباً دينيّاً ؛ يُحمد فاعلُه ، وقد كان ﷺ مجبولاً عليها في أصل خِلقته ، وأول فطرته ، لم تحصل له باكتساب ولا رياضة ، إنما هو الجود الإلهي ، والخصوصية الربانية[2].

ومن جملة ما أكرم الله سبحانه وتعالى رسولَه المصطفى الأمين ﷺ أن جعل مصدرَ علمه ربانياً ، وليس بشرياً ، علوياً وليس سفلياً ،... سماوياً وليس أرضياً ، إنما هو الوحي لا غير ، وليس لعالَمِ الأرض مِنّةٌ عليه ﷺ ، حتى تكون المنةُ لله تعالى وحده ، لهذا بعثه الله تعالى أُمِّيّاً ؛ ليكون مصدر علمه الوحي في كل صغيرة وكبيرة ، والله تعالى أعلم .

ثامناً : إن الكتب السماوية السابقة نزلت على رسلها جملة واحدة مكتوبة ، لأن رسلَها على نبينا وعليهم الصلاة والسلام كانوا متعلِّمين ، يعرفون القراءة والكتابة .

وهذا القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة ، كما لم ينزل مكتوباً ، إنما نزل مفرّقاً منجّماً ، فترة البعثة بعهديها المكي والمدني ، في (٢٣) ثلاث وعشرين سنة ، ليسهل حفظه ، وليثبت به فؤاد نبيه الكريم ﷺ وأفئدة أصحابه رضي الله عنهم . كما قال جل شأنه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[3].

---

(١) سورة يونس (١٥) وانظر : سورة الأنعام (٥٠) وسورة الأحقاف (٩).

(٢) انظر الشفا للقاضي عياض (١ : ٧٧ – ٨١ ، ١٢٥ – ١٢٧) وشمائل الرسول الأمين (٦٦ – ٦٩).

(٣) سورة الفرقان (٣٢).

والعرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام كانوا يعتمدون على الحفظ في كل أحوالهم ، ولم يكونوا يعتمدون على الكتابة ؛ لعدم معرفتهم لها . لهذا ناسب أن يكون ﷺ أُمِّيّاً لاستغنائه بحفظه ، واعتماده على ضمان الله سبحانه وتعالى له بأن يحفظه له ، مع أنه ﷺ كان في أول الأمر يسارع جبريل عليه السلام في حفظه ، خشية أن يتفلَّت منه ، فأخبره الله تعالى أنه سيحفظه له ، ويجمعه في صدره ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في الأدلة ـ لذا قال الله عز وجل له : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[1] . كما أخبره تعالى أنه لن ينسى شيئاً مما يُقرأ عليه ، فقال الله عز وجل له : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[2] .

وذلك لأن الاعتماد على الكتابة يُضعف الذاكرة ، لوجود شريك لها بالحفظ ، وهذا أمر ملاحظ ، فمن اعتمد على ذاكرته وحفظه أقوى ممن يعتمد على كتابه ، كما هو الحال في الأعمى والأُمِّي . وهذا ما نلاحظه في أيامنا هذه ، حيث كنا قديماً نعتمد على حفظنا ، والآن بدأ الاعتماد على الحاسبات ونظرائها ، لذا ضعفت الذاكرة والاعتماد على الحفظ .

نعم الكتاب يبقى ، والذاكرة تضعف مع تقدم الزمن . لهذا حث ﷺ على كتابة القرآن الكريم مع حفظه ، ليكون محفوظاً في الصدور والسطور ، والله تعالى أعلم .

تاسعاً : لو كان رسول الله ﷺ قارئاً وكاتباً لما ظهرت الدلالة على صدق نبوته بمثل كونه ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب . فالذين جاءهم رسول الله ﷺ بهذا

---

(١) سورة القيامة (١٦ – ١٩).

(٢) سورة الأعلى (٦).

الكتاب الكريم الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة ، وفيه من المعجزات والخوارق ؛ من لغوية إلى علمية ،...إلخ سيخضعون له لو كان متعلماً ، لِما فيه من المعجِز البليغ ، وما حواه من علم وبيان وبلاغة وفصاحة وتناسق وترتيب ،... فإذا علموا أنه ﷺ كان أُمِّيّاً فكيف سيكون خضوعهم واستسلامهم ؟ لا شك سيكون أعظم وأجل . وهذا ما حصل لجميع أصحاب العقول السليمة ، سواء الذين كانوا عند نزوله أو الذين جاءوا بعدهم ، والله تعالى أعلم .

عاشراً : إن صفة الأُمِّيَّة بالنسبة للنبي المصطفى الكريم ﷺ هي مِن أَجَلِّ معجزاته ، لأن معجزاته ﷺ على ضربين ؛ معجزات ظهرت في ذاته المباركة ، وأخرى ظهرت من مخارج ذاته .

فأجل وأشرف المعجزات التي ظهرت في ذاته المباركة أنه كان رجلاً أُمِّيّاً ، لم يتعلم من أستاذ ، ولم يطالع كتاباً ، ولم يتفق له مجالسة أحد من العلماء ، لأن بلده مكة لم تكن بلدةَ العلماء ، ولا يوجد فيها مدرسة ، ولا غاب رسول الله ﷺ عنها غيبة طويلة يمكن أن يقال إنه تعلم في تلك الغيبة العلومَ الكثيرة .

ذلك لأن حياته ﷺ كانت معلومةً بأيامها وشهورها وسنينها ، ثم إنه ﷺ فتح الله تعالى عليه باب العلم والتحقيق ، وعلَّمه ما لم يعلِّمه لأحد من الخلق ، وفتح عليه ما لم يفتحه على أحد من الخلق ، وأعطاه القرآن الكريم ؛ الذي اشتمل على علوم الأولين والآخرين ، فكان ظهور هذه العلوم العظيمة عليه ﷺ ـ مع أنه كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يلق أستاذاً ، ولم يطالع كتاباً ـ : من أعظم المعجزات الباهرات[1]، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر تفسير الرازي (١٥ : ٢٩).

قال الحافظ المزي رحمه الله تعالى[1] : قد جمع الله تعالى له كمالَ الأخلاق ، ومحاسنَ الأفعال ، وآتاه علم الأولين والآخرين ، وما فيه خير الدنيا والآخرة ، وهو أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، ولا معلِّم له من البشر ، نشأ في بلاد الجهل وعبادة الأوثان ، وآتاه الله تعالى ما لم يؤت أحداً من العالمين ، واختاره على جميع الأولين والآخرين ، فصلواته وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين صلاةً دائمة إلى يوم الدين.اهـ.

وقد ذكر العلماء في بيان كون أميته ﷺ من جملة معجزاته ثلاثة وجوه[2] :

١ـ أنه عليه وآله الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً ؛ مرة بعد أخرى ، من غير تبديل ألفاظه ، ولا تغيير كلماته ، والخطيبُ من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها : فإنه لا بد أن يزيد فيها وينقص ، بينما كان ﷺ يقرأ كتابَ الله تعالى ويعيدُه من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير ، وفي هذا دلالة على مدد سماوي ، وحفظ رباني ، ومعجزة خارقة . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[3] .

٢ـ لو كان ﷺ يحسن الخط والكتابة ـ وأن القرآن الكريم نزل منجّماً مفرقاً ـ لصار ـ حاشاه ـ متَّهَماً بأنه طالع كتب الأولين ، ونقله عنها ، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على جلائل العلوم الكثيرة ، وأنه لا يشبه الكتبَ السابقة ؛ لا من حيث المبنى والبلاغة والفصاحة ،... والعلوم... السابقة واللاحقة ، وأتى به من غير تَعلُّم ولا مطالعة ، وأنه ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب : عُرف أنه من السماء ، وليس من البشر ، وأن الاتهام أبعد ما يكون عنه ﷺ ، وإليه الإشارة بقوله

(١) تهذيب الكمال (١ : ٢٣٣).

(٢) انظر : تفسير الرازي (١٥ : ٢٣) وغرائب القرآن للنيسابوري (٩ : ٦٢).

(٣) سورة الأعلى (٦).

تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[1] .

٣ـ إن تعلم الخط شيء سهل لا يحتاج إلا إلى فطنة قليلة ، ومع ذلك كان الخط مشكلاً عليه ﷺ ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ ثم إن الله تعالى آتاه علوم الأولين والآخرين ، وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من العالمين ، ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلاً وفهماً ، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارياً مجرىٰ الجمع بين الضدين ، وذلك من الأمور الخارقة للعادة ، وجار مجرىٰ المعجزات ، والله تعالى أعلم .

الحادي عشر : إن وصف الأُمِّيَّةِ التي وَصَف الله سبحانه وتعالى بها نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ هي أجل أوصافه ، وأدلها على حقيقة نبوته ، وصحة رسالته ، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى اقتصر من الصفات التسع المذكورة في الآية الأولى من سورة الأعراف (آية ١٥٧) على هذه الصفة الوحيدة ، في الآية التي تليها (آية ١٥٨)[2] حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ... ﴾ دلالة على أهميتها وجلالتها ، والله تعالى أعلم .

فهي صفة مدح فيه ﷺ ، لأن وصفه ﷺ بها : إنما هي تنبيه على أن كمال علمه مع أُمِّيته إحدى معجزاته ﷺ ، والله تعالى أعلم .

الثاني عشر : إن الله سبحانه وتعالى يغار على نبيه المصطفى الكريم ﷺ مِن

---

(١) سورة العنكبوت (٤٨).

(٢) وقد مر ذكرها في المقدمة ، وفي المبحث الأول أيضاً .

أن تكون لأحد من الخلق عليه مِنّة ، حتى لو كان من كبار المسلمين الأنقياء الصالحين ،... وإنما يريد الله عز وجل أن تكون المِنة لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ على جميع المسلمين ـ وهي كذلك ـ وأن تبقى المِنّة لله تعالى وحده على رسوله الكريم ﷺ .

ولما أن الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ لم يرض أن تكون لأحد من المسلمين على رسول الله ﷺ مِنة ، لذا ما قدّم أحدٌ من المسلمين نعمةً إلا كوفئ عليها ، لتكون المنةُ لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ .

فمثلاً : إن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين أن يصلّوا ويسلّموا على رسوله الكريم ﷺ ، فقال جل وعز : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

ففي أول الآية إخبار بأن صلاة الله تعالى وملائكته على النبي الكريم ﷺ متجددة باستمرار ، ذلك لأن الجملة الاسمية تقتضي الاستمرار ، والجملة الخبرية ـ وهي الخبر ﴿ يُصَلُّونَ ﴾ ـ تقتضي التجدد ، فلما أمرنا تعالى أن نصلّي على نبيه الكريم ﷺ بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ جاء البيان ممن كُلِّف به ﷺ ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ بالقول : « قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ،... » الحديث ، كما في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم[2].

---

(١) سورة الأحزاب (٥٦).

(٢) انظر ما كتبته (الصلاة على النبي المصطفى الكريم ﷺ المصطفى الكريم ﷺ) فقد توسعت في بيان طرق الحديث ، وذكرت الروايات فيها ، وانظر مختصراً لذلك وبيان فوائدها في (فضائل المدينة المنورة) ومختصره ، وفي (عظيم قدره ﷺ).

فنحن نطلب من الله جل وعز أن يصلي على نبيه الكريم ﷺ ـ مع أن هذا تحصيل حاصل ، لأن الله تعالى أخبرنا أنه وملائكته يصلون عليه ﷺ ـ ثم لأنا لسنا أهلاً أن نكون كذلك ، ولكي تبقى المنة لله عز وجل على رسوله الكريم ﷺ ، وحتى لا تكون لنا منة ، لأن المنة لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ علينا ، فكيف تكون لنا المنة ؟ ولهذا جعل الله تعالى مردود صلاتنا على نبيه الحبيب ﷺ لنا نحن المصلِّين والمسلِّمين ، ابتداء من صلاة الله تعالى علينا ، وانتهاء بمرافقته ﷺ يوم القيامة . وأنه ﷺ لا ينتفع من صلاتنا عليه .

والتعليم والكتابة من أجل النعم والمنن ، فلو تعلّم رسول الله ﷺ على يد الفارسي كانت لذلك الرجل المِنَّة على رسول الله ﷺ ، والله تعالى يأبى أن تكون لأحد من الخلق منَّة على رسوله الكريم ﷺ ، لذا كان الله تعالى هو المعلِّم والمربِّي له ،... ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1] فهو تعالى الذي علّمه ـ بالوحي ـ من غير تعليم أحد ، ليكون الفضل لله تعالى ، والوحي أعلى وأرقى مراتب التعليم .

فإذا أتى بهذا العلم وهو أمِّيٌّ علم حقيقة الوحي ومنزلته على سائر الأديان ، وما أُعطيه الرسل عليهم السلام ، والله تعالى أعلم .

وهناك أمور عديدة غير ما ذكرت ، لكن اقتصرت على ما ذكرت للتنبيه على ما سواها ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة النساء (١١٣).

الفصل الثاني

الأدلّة على كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أُمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب



الفصل الثاني

الأدلّة على كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أُمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب

إن الأدلة على أن رسولَ الله ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب : كثيرةٌ جدّاً ، يصعب حصرها . وقد تواترت في ذلك واشتهرت ، حتى أغنت عن ذكر أسانيدها . لأنه ﷺ وُلد في بيئة أُمِّيَّة ، لا تعرف القراءَةَ ولا الكتابة ، ونشأ ـ بأبي هو ونفسي ـ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يكن ببلده آنذاك مدرسةٌ أو معلِّم أو كُتّاب ، وشبَّ ﷺ على ذلك ، ولم يكن ببلده مكة مَنْ يَعرفُ القراءَةَ والكتابةَ إلا النادر ، وقد عرفوها قبل فترة قليلة ، ولم تكن قديمةَ العهد فيهم ـ كما مر في المقدمة ـ وهكذا جعله الله تعالى ، وجَعل وصفَه بذلك في الكتب السماوية السابقة ، وعند الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وبذلك عرفه أهلُ الكتاب من كتبهم ، ونطقوا بذلك حين سئلوا عنه .

لأن أُمِّيّتَه ﷺ دل عليها الكتاب الكريم ، والكتب السماوية السابقة ، ونطق بها الأحبار والرهبان ، وقالها ﷺ ، وأخبر عنها أصحابُه رضي الله عنهم ، وأجمع العلماءُ عليها . واتفق عليها علماءُ اللغة والغريب ، والتفسير ، والحديث ، وعلماء السِّير والمغازي ، والواقع العملي لحياته ﷺ .

وسأذكر بعض ما يحضرني من الأدلة ، سواء كانت دلالتها صريحةً واضحةً ، أو كانت غير واضحة . والله تعالى هو المعين ، وعليه الاعتماد ، ومنه أستمد العون والتوفيق والسداد .

أولاً :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن رسوله الكريم ﷺ بأنه أُمِّيٌّ . وأمرنا سبحانه وتعالى أن نؤمن به وهو أُمِّيٌّ .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى رسولَه المصطفى الكريم ﷺ أن يعلن لجميع الناس أنه رسول الله تعالى إليهم جميعاً ، والله تعالى هو مالك الملك . ثم أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نؤمن بهذا الرسول الكريم عليه وآله الصلاة والسلام ، وجعل له صفات معلومة .

فهو رسولٌ ونبيٌّ ، حيث جمع الله تعالى له بين الرسالة والنبوة . كما بينتُ ذلك في المقدمة[٢].

وهو ﷺ مع كونه رسولاً نبيّاً ؛ هو أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وهي صفة لازمة له ﷺ ؛ لا تزول ولا تنقطع ، مع ما ظهر ويظهر على يديه ﷺ من المعجزات والخوارق ، وهو يؤمن بالله تعالى وكلماته ، ومصدِّق ، ويشهد الله تعالى له بذلك .

ثم إن الله عز وجل يُلزِمُنا اتباعَ هذا الرسول الكريم ﷺ في كل الأمور ، والاتباع أدق من الطاعة ، كما بينت ذلك في (محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد) فإذا فعلنا ذلك نلنا الهداية والتوفيق .

ثانياً :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه جل شأنه جعل صفات رسوله الكريم عليه

---

(١) سورة الأعراف (١٥٨).

(٢) انظر صفحة (١٨ – ١٩).

وآله الصلاة والسلام في الأمم السابقة ، حتى إذا بُعث ﷺ عرفوه بتلك الصفات . ومن جملة صفاته التي ذكرها الله تعالى ، وأنها موجودة في الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل : كونه ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

لقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ في هذه الآية الشريفة بتسع صفات ذكرتها في المقدمة[2] ومنها :

ـ كونه ﷺ رسولاً نبيّاً . وقد تقدم الحديث عن ذلك .

ـ كونه ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا بالإجماع ـ كما سنرى ـ .

ـ كون ذلك كله ـ أي صفاته ﷺ الموجودة في هذه الآية ـ مكتوباً في التوراة والإنجيل . فهو مكتوبٌ فيهما : بأنه ﷺ أُمِّيٌّ ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحلُّ الطيبات ، ويحرِّم الخبائث...إلخ.

وهذا إخبار من الله تعالى بأن نَعْتَ وصِفةَ ونبوةَ ورسالةَ وأمرَ ،... رسول الله ﷺ موجودٌ في التوراة والإنجيل ،...

ذلك لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، وكلامه تعالى صفته ، فهو قديم ، فهو قبل نزول التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، وذلك كله قبل وجود اليهود والنصارى ، سواء كان ذلك قبل وجودهم

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) انظر صفحة (١٨ – ١٩).

أصلاً ، أو وجود من كان في عصره ﷺ ، ولكنه قبل وجود النصارى قطعاً ، لأن الإخبار عن وجوده ونعته ﷺ إذا كان موجهاً إلى موسى عليه السلام وأنه ﷺ هو موجود في التوراة والإنجيل ، فإن الإنجيل لم يكن قد نزل ، ولأن رسوله عيسى عليه السلام ، لم يخلق فضلاً عن أنه لم يبعث .

فمعنى هذا أن الله تعالى أنزل وصف نبيه الكريم ﷺ في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ، وأنه سينزل وصفه في الإنجيل أيضاً ـ حين نزوله على عيسى عليه السلام يوم بعثته ـ فهو موجود فيهما إذاً قبل إنزالهما على موسى وعيسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام . وهو فيهما أنه ﷺ أُمِّيٌّ ، لا يقرأ ولا يكتب .

وإخبار الله تعالى عن وصف نبيه ﷺ ـ ومنها أنه أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ـ في كتابه الكريم ، وأنه كان موجوداً في التوراة والإنجيل ، من أعظم الدلائل على صحة نبوته ﷺ . لأنه لو لم يكن مذكوراً فيهما لكان هذا الإخبار عنها من أعظم المنفِّرات لليهود والنصارى عن قبول قوله ، وأدعى إلى إنكاره ونفيه ، فلما أقروا بوجوده دل على صدقه ، وموافقة ما عندهم ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً :

نتيجة لما وُجد من صفاته ﷺ ـ ومنها أنه أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ـ في الكتب السماوية السابقة ، فقد أخبر الرسل السابقون ؛ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام عنه ﷺ ، وعن صفته ،... وبيانهم أنه ﷺ نبيٌّ أُمِّيٌّ .

وقد اتضح ذلك ليلة الإسراء والمعراج ، كما يتضح ذلك يوم العرض قبل بدء الحساب ، حتى يشفع لهم رسول الله ﷺ لبدء الحساب .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ليلة أسري بنبي الله ﷺ ، ودخل الجنة ،

فسمع من جانبها وَجْساً [وهو الصوت الخفي] قال : يا جبريل ؛ ما هذا ؟ قال : هذا بلالٌ المؤذِّنُ ،... » الحديث ، وفيه « فلقيه موسى ﷺ فرحب به ، وقال : مرحباً بالنَّبي الأُمِّيِّ ،... » الحديث . رواه أحمد بإسناد صحيح ، وصححه ابن كثير[1]. وأصل الحديث في الصحيح .

وجاء نحو ذلك عن عيسى عليه السلام في حديث الشفاعة الطويل ، من رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه ، كما عند ابن المبارك والطبري والطبراني في الكبير وابن أبي حاتم وغيرهم[2].

وإن كان يكفي ما في كتاب الله تعالى من إخباره عن وجود ذلك في التوراة والإنجيل ، ولا بد أن يكون موسى وعيسى عليهما السلام قد عرفا ذلك ، وحدّثا أقوامهما بذلك أيضاً ، والله تعالى أعلم .

رابعاً :

ومما يدخل في ذلك : إخبارُ أهل الكتاب أنهم يجدون في التوراة أن هذه صفته ﷺ ، إضافة إلى صفات أخرى .

وقد اتضح ذلك عندما ناشدهم النبيُّ المصطفى الكريم ﷺ : هل يعلمون ذلك ؟ فأجابوه بالإيجاب .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : حضرتْ عصابةٌ من اليهود

---

(١) مسند الإمام أحمد (١ : ٢٥٧) وتفسير ابن كثير (٣ : ١٤) ط دار الفكر .

(٢) انظر : الزهد والرقائق ـ زوائد نعيم (١١١ رقم ٣٧٤) وتفسيرالطبري (١٦ : ٥٦٢ – ٥٦٣) ط شاكر ، والمعجم الكبير (١٧ : ٣٢٠ – ٣٢١ رقم ٨٨٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٧ : ٢٢٤٠ – ٢٢٤١) والدر المنثور (٥ : ١٨) عند آية (٢٢) من سورة إبراهيم عليه السلام ، ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٦) وسنده ضعيف ، وأما أصل الحديث ؛ فهو متواتر .

نبيَّ الله ﷺ يوماً ، فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن خِلالٍ نسألك عنهن ، لا يعلمهن إلا نبي ، [وفي رواية : فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك].

قال : « سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أَخذ يعقوبُ عليه السلام على بنيه [إذ قالوا : الله على ما نقول وكيل] لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتُتابِعُنِّي على الإسلام ».

قالوا : فذلك لك .

قال : « فسلوني عما شئتم ».

قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن : أخبرنا أي الطعام حرّم إسرائيلُ على نفسه من قَبْل أن تُنزّل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذَّكَر منه [وكيف تكون الأنثى] ؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأُمِّي في النوم ؟ ومن وليُّه من الملائكة ؟

قال : « فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتُتَابِعُنّي ؟ »

قال : فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق ،... الحديث ، وفيه :

قال : « فأنشدكم بالذي أَنزل التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبيَّ الأُمِّيَّ تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ ».

قالوا : اللهم نعم .

قال : « اللهم اشهد »... الحديث بطوله . رواه أحمد وابن سعد والطيالسي والطبراني والطبري والبيهقي ، وغيرهم ، وقال الهيثمي بعد عزوه لأحمد والطبراني : رجاله ثقات . وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد وتفسير الطبري . ورواه النسائي وأبو نعيم من وجه آخر عنه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضاً

للفريابي وعبد بن حُميد وأبي نعيم[1]، والله تعالى أعلم .

ففي هذا الحديث ، سؤالهم عن النبي الأُمِّيِّ ﷺ الموجود في كتبهم وفي علمهم . فلما أخبرهم النبي المصطفى الكريم ﷺ عنه . أقروه على صفته ، لأنها موجودة عندهم ، لذا طلب من الله تعالى أن يشهد على ذلك ، وهي صفة لازمة ، خاصة والسؤال في المدينة .

خامساً :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه قد بعث رسولَه المصطفى ﷺ في قوم أُمِّيِّين ، وأنه جل شأنه جعله منهم ، فهو ﷺ أُمِّيٌّ كقومه . وأن هذا الوصف كما جاء في القرآن الكريم فقد جاء في التوراة والكتب السابقة أيضاً .

قال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] .

وهذه السورة مدنية بالاتفاق .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ يعني : العرب ، وكان العرب أُمَّةً أُمِّيَّةً ؛ لا تكتب ولا تقرأ ، حتى بُعث فيهم نبي الله ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ أي أرسل رسولاً منهم ، أي من الأُمِّيِّين ؛ وهم

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٧٨) و (٤ : ١٧٦ – ١٧٧ برقمي ٢٥١٤ – ٢٥١٥) من ط شاكر ، والطبقات الكبرى (١ : ١٧٤ – ١٧٥) ومسند الطيالسي (٣٥٦ – ٣٥٧ رقم ٢٧٣١) والمعجم الكبير (١٢ : ٢٤٦ – ٢٤٧ برقم ٣٠١٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٦٦ – ٢٦٧) وتفسير الطبري (٢ : ٣٧٧ – ٣٧٨) وحلية الأولياء (٤ : ٣٠٤ – ٣٠٥) وعشرة النساء (١٦٣رقم١٨٧) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٤١ – ٢٤٢) وانظر الدر المنثور حيث عزاه للفريابي وعبد بن حُميد وأبي نعيم أيضاً .

(٢) سورة الجمعة (٢).

العرب ، وهو أُمِّيٌّ مثلهم ، لأن قوله ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾ يعني من جنسهم ، ومن أنفسهم ، ومن جملتهم ، فهو أُمِّيٌّ مثلهم .

والأمِّيّون خلاف أهل الكتاب ؛ من اليهود والنصارى . ويدل على ذلك أمر الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ أن يخاطب الفريقين ، كما قال عز وجل : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[1] .

فهذه الآية الكريمة دليل على أن الأُمِّيّين غيرُ اليهود والنصارى ، لأن العطف يقتضي المغايرة ، كما هو معلوم .

كما أن هذه الآية الكريمة تدل على عموم دعوته ﷺ ، وأنها ليست خاصة بالعرب ، حيث خاطب أهلَ الكتاب ، كما خاطب العرب ، بخطاب واحد ، وطلب منهم جميعاً الإسلام .

وتخصيص الله سبحانه وتعالى الأُمِّيّين بالذكر لا ينفي من عداهم ، ولكنه خصهم بالذكر لتكون المنة عليهم أبلغَ وأذكر ، والله تعالى أعلم .

وآية الجمعة ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ هي مصداق إجابة الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه السلام ، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله تعالى فيهم رسولاً منهم ، كما قال جل شأنه عنه : ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2] .

---

(١) سورة آل عمران (٢٠).

(٢) سورة البقرة (١٢٧ – ١٢٩).

فبعثه الله سبحانه وتعالى من هذه الذرية ، الذين هم أُمِّيُّون ، على فترة من الرسل ، وطمس من السبل ، واشتداد من الحاجة إليه .

وقد بيَّن رسول الله ﷺ أنه بُعث إلى أمةٍ أُمِّيّين . وفيهم الذي لا يقرأ ولا يكتب .

فعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال : لقي رسولُ الله ﷺ جبريلَ فقال : « يا جبريل ؛ إني بُعثت إلى أُمةٍ أمِّيِّين : منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط . قال : يا محمد ؛ إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة ، والترمذي وابن حبان ـ وصححاه ـ والشاشي والضياء في المختارة ، والبزار[1] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، أن جبريل عليه السلام لقي رسول الله ﷺ عند حجارة المراء ، فقال : « يا جبريل ؛ إني أُرسلت إلى أمة أمِّيَّة ؛ إلى الشيخ والعجوز والغلام ، والجارية ، والشيخ الذي لم يقرأ كتاباً قط . فقال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » رواه أحمد وأبو عبيد والبزار[2] ، ورجاله رجال الصحيح ، سوى عاصم وهو ثقة ، وفيه كلام لا يضر . فالحديث حسن .

ومشروعية قراءة القرآن الكريم بالأحرف السبعة : إنما كان بعد فتح مكة ، وذلك لأن أحد الذين ورد ذكرهم في تعليم النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم هو : هشام بن حكيم . وهو من مَسْلمة الفتح . وحديثه عند البخاري وغيره ، في قصة

---

(١) سنن الترمذي : كتاب القراءات ، رقم (٢٩٤٤) ومسند أحمد (٥ : ١٣٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٥١٨) ومسند الطيالسي (٧٣ رقم ٥٤٣) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٤) ومسند الشاشي (٣ : ٣٦٢) ومسند البزار (٧ : ٣١١ ، ٣٧٤).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٤٠٥ – ٤٠٦) ومسند البزار (٧ : ٣١٠) وكشف الأستار (٣ : ٨٩) ومجمع الزوائد (٧ : ١٥٠) ومختصر زوائد البزار (٢ : ١٣٧).

عمر رضي الله عنه معه . كما أن من رواة القراءة بالأحرف السبعة ممن لم يحضروا إلا بعد غزوة خيبر . كما هو معلوم . ولعلي أشير إليها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

وما نطق به القرآن الكريم هو الذي جاء في التوراة أيضاً . حيث وُصف ﷺ بأنه حرز للأُمِّيّن .

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما ـ وقد سأله عطاء ابن يسار رحمه الله تعالى عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ـ فقال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـٰذِيرًا ﴾[1] وحرزاً للأُمِّيِّين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويُفتَحَ به أعينٌ عميٌ ، وآذان صمٌ ، وقلوبٌ غُلفٌ . رواه البخاري[2].

وقوله : « حِرزاً » بكسر الحاء المهملة ، أي حافظاً ، وحصناً .

و (الأُمِّيِّين) هم العرب : أي هو حصن للأُمِّيين الذين هم العرب .

وقوله : « حتى يقيم به الملةَ العوجاء » أي حتى يُخرج العربَ من الكفر إلى الإيمان ، والله تعالى أعلم .

سادساً :

هذا الوصف أعني : الأُمِّيَّةَ ؛ هي علامته ﷺ ، وعلامة أمته يوم القيامة ، حيث ينادَون بالأُمِّيَّة ، فيقال : النَّبيُّ الأُمِّيُّ ، والأُمَّةُ الأُمِّيّةُ .

---

(١) سورة الأحزاب (٤٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب كراهية السخب في الأسواق ، وكتاب التفسير : سورة الفتح .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « نحن آخرُ الأمم ، وأولُ من يحاسب ، يقال : أين الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ ونبيُّها ، فنحن الآخِرون الأولون » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح[1] ورجاله ثقات ، وأصل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة قامت ثلة من الناس يسدّون الأفق ، نورُهم كالشمس ، فيقال : النَّبيُّ الأُمِّيُّ ، فيتحشحش لها كلُّ نبي . فيقال : محمدٌ وأمتُه . ثم تقوم ثلة أخرى تسد ما بين الأفق ، نورهم مثل كلُّ كوكب في السماء ، فيقال : النَّبيُّ الأُمِّيُّ ، فيتحشحش لها كلُّ نبي . ثم يحثي حثيتين ، فيقال : هذا لك يا محمد . وهذا مني لك يا محمد ، ثم يوضع الميزان ، ويؤخذ الحساب » رواه الطبراني بإسنادين ؛ رجالهما قد وثقوا ، وشواهده كثيرة ؛ ذكرتها في (الخصائص) وَ (عظيم قدره ﷺ) وقد جوَّده السيوطي[2] ، وهو حسن .

وقوله : « يتحشحش لها » أي يتحرك للنهوض .

سابعاً :

ومما يدل على أنه ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب : إخبارُ الصحابة رضي الله عنهم أنه ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وأقتصر على ذكر حديث واحد فقط .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (والذي فلق الحبَّةَ ، وبرأ النسمة ؛

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب صفة أمة محمد ﷺ ، رقم (٤٢٩٠) ومصباح الزجاجة (٤ : ٢٥٦).

(٢) والمعجم الكبير (٨ : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٢٢ - ٢٢٣ رقم ٧٧٢٣ ، ٧٧٨٠) مجمع الزوائد (١٠ : ٤٠٨ - ٤٠٩ ، ٤٠٩) والجامع الكبير (١ : ٤٦٧) المخطوط ، وكنز العمال (١٢ : ١٧٣ رقم ٣٤٥٣٧) وانظر : عظيم قدره ﷺ (٢٧٢ - ٢٧٦).

إنه لعهد النبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِليِّ : أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق) رواه مسلم[1].

فهذا الحديث واضح في دلالته ، إذ لا يُعقل أن يصف أميرُ المؤمنين عليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ بما ليس فيه ، خاصة وأن عليّاً رضي الله عنه قال ذلك في العراق بعد وفاة رسول الله ﷺ بدهر ، والله تعالى أعلم .

ثامناً :

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد أنزل في التوراة والإنجيل أوصافَ النبي المصطفى الكريم ﷺ ؛ ومنها أنه أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، حتى لا يكون لليهود والنصارى حجةٌ إذا جاءهم عليه وآله الصلاة والسلام بالحق ، ومعنى هذا أن خبرَه ﷺ قد شاع ، وأنه نبيٌّ أُمِّيٌّ ، بُعث في أُمَّةٍ أُمِّيةٍ ، وهو حصنٌ حصينٌ ، وحافظٌ أمينٌ لهذه الأمة .

أقول : إن خبره ﷺ ـ بأنه أُمِّيٌّ ، ونبيُّ الأُمِّيّين ـ قد شاع ليس عند اليهود والنصارى فحسب ، بل عرفه ويعرفه كل من له ارتباط بذلك .

ومن هؤلاء : الدجال الذي سيأتي في آخر الزمان ، والذي يفتن الخلق ، ولا تُعرف فتنةٌ شر من فتنته ، فهو شرُّ غائب يُنتظر ، وإن كان هو موجوداً الآن [2].

لما سأل تميماً الداريَّ رضي الله عنه ومن معه من قومه عن رسول الله ﷺ وعن وصفه ﷺ ، وفيه : أنه نبيٌّ أُمِّيٌّ ، وأنه ﷺ نبيُّ الأُمِّيِّين .

ومثله إخبارُ ابن الصياد ، عن رسول الله ﷺ ، وأنه نبي الأُمِّيّين .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان ،... رقم (١٣١).

(٢) انظر ما كتبته عن الدجال : أخبار الدجال ، وأشراط الساعة ، ومختصره .

ففي حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ـ في قصة الجساسة ـ قال الدجال لتميمٍ الدّاريِّ رضي الله عنه ومن معه : (أخبروني عن نبيِّ الأُمِّيِّين ما فَعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ، ونزل يثرب ،...) الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

وفي رواية الطبراني[2] : أخبروني عن النبيِّ الأُمِّيِّ ما فعل ؟

وفي رواية أبي داود[3] ، بسنده عنها رضي الله عنها ، وفيه : وسألهم عن نخل بيسان ، وعن عين زُغَرَ ، وعن النبيِّ الأُمِّيِّ ـ ﷺ ـ قال : إني أنا المسيح ، وإنه يوشك أن يُؤذنَ لي في الخروج ،... الحديث .

وفي رواية أخرى للطبراني[4] : قال : ما فعلت العرب ؟ قلنا : بُعث إليهم نبيٌّ أُمِّيٌّ ؛ يدعوهم إلى الله ،... الحديث .

وأما قول ابن صياد ، وشهادته للنبي الكريم ﷺ بأنه رسول الأُمِّيِّين .

فعن عمر رضي الله عنه قال : ...قال رسول الله ﷺ لابن صياد : « أتشهد أني رسول الله ؟ » فنظر إليه ابن صياد ، فقال : أشهد بأنك رسولُ الأُمِّيِّين ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[5].

فإذا كان وصفُه ﷺ بالأُمِّيَّة قد بلغ هؤلاء ، فماذا يقال بعد ذلك ؟؟

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب قصة الجساسة ، رقم (١١٩).

(٢) المعجم الكبير (٢٤ : ٣٨٨ – ٣٩١ رقم ٩٥٨) وهو بسند مسلم . والأحاديث الطوال ، رقم (٤٧) وهو بنفس السند أيضاً .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الملاحم : باب في خبر الجساسة ، رقم (٤٣٢٦).

(٤) المعجم الكبير (٢٤ : ٣٩١ – ٣٩٢).

(٥) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر ابن صياد ، رقم (٩٥).

تاسعاً :

لقد اتفق علماء اللغة العربية المتقدمون على أنه ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب . وقد توسعت في ذكر النقول في (معنى الأمي في اللغة العربية) لكني أذكر هنا بعض النقول ـ وإن تكررت ـ للتذكير في هذا الباب .

قال أبو عبيد الهروي رحمه الله تعالى في (الغريبين) : ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ هو الذي على خِلقة الأُمّة الأُمِّية ،... فهو على جِبِلته التي وُلد عليها ، نُسب إلى ما ولدته عليه أُمه ، معجزة له ﷺ .

وقال الزجاج رحمه الله تعالى : والنبي ﷺ لم يكن يكتب ، ولا قرأ التوراة والإنجيل ، ولا عاشر أهلَهما . فإتيانه بما فيهما من آيات الله العظام ،...

وقال الأزهري رحمه الله تعالى : وكان النبي ﷺ أُمياً ، وكان مع ذلك حافظاً لكتاب الله تعالى ، فكانت آية معجزة .

وقال النحاس رحمه الله تعالى : قال قتادة : كانت صفةُ النبي ﷺ أنه لا يكتب بيمينه ، ولا يتلو كتاباً ، فذلك آية بينة .

وقال أبو موسى المديني رحمه الله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ قيل : لأنه على أصل ولادة أُمّه ، لم يتعلم الكتابة ولا القراءة ،...

وقال ابن منظور رحمه الله تعالى : وقيل لسيدنا محمد ﷺ الأُمِّيّ ، لأن أُمّةَ العرب لم تكن تكتب ، ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولاً ، وهو لا يكتب ، ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة ،...إلخ.

إلى آخر النقول التي تُظهر اتفاق علماء اللغة على أنه ﷺ نبيٌّ أُمِّيٌّ ؛ لم يقرأ ولم يكتب . وقد سبق ذكرُ كثير من الأقوال في المبحث الثاني من الفصل الأول ، والله تعالى أعلم .

عاشراً :

هذا التعريف الذي ذكره علماء اللغة : هو الذي كان قد جاء عن رسول الله ﷺ . حيث فسّر الأُمِّيَّ بالذي لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « إنا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ؛ لا نكتب ولا نحسُب ، الشهر هكذا وهكذا » يعني مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين . متفق عليه[1].

فقوله ﷺ : « إنّا » أي العرب ، كما يحتمل أنه يريد نفسه الشريفة .

وقد فسَّر النبي المصطفى ﷺ كلمةَ الأُميّة ؛ بأنهم لا يكتبون ، ولا يعرفون حساب النجوم وتسييرها ، ولم يكونوا يعرفون من ذلك إلا النذر اليسير ، وقد كانت الكتابة فيهم قليلة نادرة .

وقد أخبر ﷺ عن الدجال بأنه مكتوب بين عينيه (كافر) (ك ف ر) ويقرؤه كل مسلم ؛ كاتب وغير كاتب . هكذا جاء في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة .

لكن رواية أنس رضي الله تعالى عنه : « يقرؤه كل مؤمن ؛ مِنْ أُمِّيٍّ وكاتب » .

وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه : « يقرؤه الأُمِّيُّ والكاتب » .

ونحو ذلك جاء عن معاذ وأبي أمامة رضي الله عنهم ، وغيرهم ، وقد توسعت في بيان ذلك في (أخبار الدجال) فانظره .

فقوله ﷺ : « من أُمِّيٍّ وكاتب » دلالة على أن الأُمِّيَّ ليس بكاتب ، لوجود

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قول النبي ﷺ : « لا نكتب ولا نحسب ». وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ،... رقم (١٥).

المقابلة بينهما ، خلافاً لما يفهمه بعضُ أهل عصرنا ، والمشتكى إلى الله تعالى ، حيث صار من العرب من لا يعرف معنى العربية .

وذلك لأن الإدراك في البصر يخلقه الله سبحانه وتعالى للعبد كيف شاء ومتى شاء ، فهذا يراه المؤمن بغير بصره ، ويفهمه ، وإن كان لا يعرف الكتابة ، ولا يراه الكافر ولو يعرف الكتابة ، لأن ذلك الزمان تنخرق فيه العادات في ذلك[1]، والله تعالى أعلم .

وإذا كان النبي المصطفى الكريم ﷺ قد فرَّق بين الأمي والكاتب ـ وهو ﷺ إمام الفصاحة والبلاغة والعربية ـ فهذا يدل على أن الأُمِّيَّ ليس بكاتب ؛ ولا يعرف الكتابة ، ولا القراءة ، لأنه يقابلها ، والله تعالى أعلم .

الحادي عشر :

ومما يدل على أن رسول الله ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب : أول ما نزل عليه الوحي ، وطلب منه القراءة ، قال ﷺ : « ما أنا بقارئ » دلالة على عدم معرفته ﷺ لها .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فَلق الصبح ، ثم حُبِّب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنَّثُ فيه ـ وهو التعبد ـ الليالِيَ ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحقُّ ؛ وهو في غار حراء ، فجاءه المَلَكُ ، فقال : اقرأ ، قال : « ما أنا بقارئ ».

---

(١) انظر : فتح الباري (١٣ : ١٠٠).

قال : « فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[1] » فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

فقوله ﷺ ـ في المرات الثلاث ـ : « ما أنا بقارئ » دلالة على عدم معرفته ﷺ بالقراءة ، لأنه أُمِّيٌّ .

وذلك لأن ما : نافية ، إذ لو كانت استفهامية ؛ لم يصلح دخول الباء في قوله : « بقارئ » ولقال : ما أنا قارئ ، أو قال : ما أقرأ ؟ والباء زائدة لتأكيد النفي ، فيكون المعنى : ما أُحسن القراءةَ . فلما قال ذلك ثلاثاً ، قيل له : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ أي لا تقرأه بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك وإعانته ، فهو يعلِّمك ، كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر ، وعلَّم أُمتَك ؛ حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية ،...إلخ[3].

فهذا دليل واضح على أنه ﷺ لا يعرف القراءة والكتابة .

يضاف إلى ذلك ، بأنه لا يشترط أن تكون القراءة من كتاب . بل قد تكون منه ، وقد تكون من غير كتاب ، كمن يقرأ عن ظهر قلب ، كما هو الحال في الأعمى ، وكما هو الحال في القراءة في الصلاة ، حيث تكون من غير كتاب ، وكما تكون استظهاراً ، كما هو الحال في الذي يقرأ عن ظهر قلب .

---

(١) سورة العلق (١ – ٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوحي : الباب الثالث ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، رقم (٢٥٢).

(٣) انظر : فتح الباري (١ : ٢٤).

ثم لو كان المطلوب أن يقرأ من كتاب لقُيّد ذلك ، فيقال له مثلاً : اقرأ من كتاب كذا ، أو مما في يدك ،... فلما لم يكن شيء من ذلك موجوداً ؛ دل على عدم وجود القراءة من كتاب .

ثم إن هذه أولُ آية تنزل على رسول الله ﷺ ، وفيها الخطاب له بالقراءة ، فمِن أي شيء يقرأ ؟ ولا كتاب عنده ، وأي شيء يقرأ ؟ ولـمّا نزل القرآن بعد ؟ مما يدل على أنه ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب .

وإذا كان قد مر بعض الأدلة على أُمِّيته ﷺ في آخر حياته ، فإن هذه الآية هي الأولى في نبوته ﷺ ، مما يدل على أنه ﷺ كان وما زال أُمِّيّاً ؛ من أول حياته حتى آخر وجوده في عالم الدنيا ، والله تعالى أعلم .

الثاني عشر :

ومما يدل على أنه ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب : حالتُه عند نزول الوحي عليه ، حتى بيَّن الله سبحانه وتعالى له تكفّلَه بحفظ القرآن ، وجمعَه له في صدره ، وقراءته وبيانه .

قال الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[1].

وقد بيَّن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما حالَ النبي المصطفى الكريم ﷺ حين ينزل عليه الوحي ، حتى نزلت عليه هذه الآية الكريمةُ .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدةً ، وكان مما يحرك شفتيه .

---

(١) سورة القيامة (١٦ - ١٩).

فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما .

وقال سعيد [بن جبير] : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما . فحرك شفتيه .

فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال : جمعه لك في صدرك ، وتقرؤه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال : فاستمِع له وأنصِت . ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ ثم إن علينا أن نبيِّنه بلسانك .

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه . متفق عليه[1].

فقد كان ﷺ في ابتداء الأمر إذا لُقِّن القرآنَ نازع جبريلَ عليه السلام القراءَة ، ولم يصبر حتى يتمها ، مسارعةً إلى الحفظ ، لئلا ينفلت منه شيء ، ولهذا جاء في بعض روايات هذا الحديث (يحرك به لسانه يريد أن يحفظه) وفي أخرى (يعجل بقراءته ليحفظه) فأُمِر أن ينصت حتى يقضى إليه وحيه ، وَوُعِد بأنه آمِنٌ من تفلته منه بالنسيان أو غيره[2].

لذا كان اعتماده على الحفظ لا على الكتابة . لأنه ﷺ ما كان يعرفها ولا يكتبه ، نعم أَمر ﷺ غيرَه أن يكتبه حتى لا يلتبس فيما بعد .

فلو كان ﷺ كاتباً لأملاه جبريل عليه السلام عليه ، ولكتبه ﷺ وجبريل عليه السلام يوحيه إليه ، ولما احتاج إلى هذا التوجيه ، ثم التعهد بالجمع والقراءة ،

---

(١) صيح البخاري : كتاب الوحي : الباب الرابع ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب الاستماع للقراءة ، رقم (١٤٧ - ١٤٨).

(٢) انظر : فتح الباري (١ : ٣٠) وشرح صحيح مسلم للإمام النووي .

ولما سارع جبريلَ عليه السلام ، وشاركه في القراءة حتى يحفظه ، فلما أمره الله تعالى بالإنصات ، ووعده بأن الله سبحانه وتعالى تكفّل بحفظ القرآن في صدره ، وتكفل في قراءته وبيانه ، لذا ما عليه إلا أن ينصت حتى ينتهي جبريل عليه السلام ، فإذا به قد حفظه ، والله تعالى أعلم .

الثالث عشر :

وهذا نظير الدليل السابق .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾[1] .

حيث كان ﷺ كلما قرأ عليه جبريل آية قالها معه ، وردّدها ، وشاركه في قراءتها من شدة حرصه على حفظ القرآن ، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه ، لئلا يشق عليه ، فأرشده إلى الإنصات ، فإذا فرغ المَلَكُ من قراءته عليه ﷺ قرأه بعده .

فلو كان ﷺ يكتب لما احتاج إلى هذا الإسراع والتعجيل بالحفظ ، بل لأملاه عليه جبريل عليه السلام مباشرة ، وإذا لم يمله جبريل عليه السلام كتب هو ، ولم يحتج إلى هذا التعجل منه ، وطلب الإمهال من الله تعالى ، ولكن الأمر على خلاف ذلك ، والله تعالى أعلم .

الرابع عشر :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن رسوله ﷺ ما كان يخط بيده ، وما كان يقرأ من كتب . بل لو كان يعرف القراءة والكتابة لارتاب بعضُ الجهلة من الناس ، وقالوا : إنما تعلَّم ذلك من كتب سابقة .

---

(١) سورة طه (١١٤).

قال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾[1].

فقوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي لا تجادلوا اليهود والنصارى ممن يريدون الاستبصار منهم بالدين ومعرفة الحقيقة إلا بالتي هي أحسن ، ليكون أنجع فيه . أما الذين حادوا عن وجه الحق ، وأفرطوا في الاعتداء والعناد والمكابرة ، وعَمُوا عن واضح المحجة ، فيجب مدافعتهم ومجادلتهم بما يليق بحالهم ، ويمنعهم ويريعهم ، حتى يُسلموا أو يعطوا الجزية عن يد .

ومعلوم أن مجادلةَ أهل الكتاب إنما كانت في المدينة ، لأنها كانت سكناً لليهود ، وقد كثرت أسئلة اليهود لرسول الله ﷺ ، كما كان مجيء الوفود من نصارى نجران وغيرها إنما كان فيها أيضاً . كما أن مكة ليست وطناً لأهل الكتاب ، وما كان لهم مرور فيها ، إضافة إلى أن النبي المصطفى الكريم ﷺ لم يتعرض لأهل الكتاب في مكة ، إنما كان التعرض لهم في المدينة ، كما هو معلوم أيضاً ، والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ إلخ الآية : فإذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم بما لا تعلمون صدقه ولا كذبه ، فقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا ـ وهو القرآن الكريم ـ وبما أنزل إليكم ـ من التوراة والإنجيل ـ ولا تُقدموا على تكذيبه ؛ لأنه قد يكون صدقاً ، ولا على تصديقه ؛ لأنه قد يكون باطلاً ، وهو مما أدخلوه ، أو زادوه .

---

(١) سورة العنكبوت (٤٦ – ٤٨).

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ، ولا تكذِّبوهم ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ... ﴾ » الآية . رواه البخاري[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه أيضاً .

وقوله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ ﴾ أي كما أنزلنا الكتب على من سبقك من الرسل ، كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب ، وهو القرآن الكريم .

وقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ ﴾ أي الذين أخذوه ، فتَلوه حق تلاوته ، من أحبارهم ورهبانهم ، من العلماء الأذكياء كعبد الله ابن سلام ، وسلمان الفارسي وأشباههما .

وقوله عز وجل : ﴿ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ ﴾ يعني العرب من قريش وغيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ أي ما يكذب بها ، ويجحد حقها إلا المتوغلون في الكفر ، المصمّمون عليه ، القائمون به . فإن ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيقتها ، وهذا فعل اليهود ومن كان على شاكلتهم من المشركين ، الذين عرفوا أن سيدنا محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وصدقاً ، وأن القرآن حق وصدق ، وأنه من عند الله تعالى ، ولكنهم جحدوا وتنكروا .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ أي ما كنت يا رسول الله تقرأ من قبلِ القرآنِ الكريم كتاباً ، ولا تقدر عليه ، لأنك أُمِّيٌّ ؛ لا تقرأ ولا تكتب .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة البقرة : باب ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾، ورواه أيضاً في كتابي الاعتصام ، والتوحيد .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ فكما أنك يا رسول الله ما كنت تقرأ من كتاب ؛ فكذلك لا تقدر على أن تخطه بيمينك ، لأنك لا تقدر على الكتابة .

والمراد باليمين : اليد الجارحة التي يكتب بها ، وذِكرُها زيادة تصوير لما نُفي عنه ﷺ من الكتابة . لأن ذكر الخط كاف في الدلالة على الكتابة ، فهي مثل العين في قول أحدنا : نظرتُ بعيني ، فقول (نظرت) يكفي عن ذكر العين ، ولكنه تعالى ذكر (اليمين) تحقيقاً للحقيقة ، وتأكيداً لها ، حتى لا يبقى للمجاز مجاز ، والله تعالى أعلم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن رسول الله ﷺ يقرأ ولا يكتب ، كان أُمِّيّاً . رواه البيهقي والطبري في آخرين .

وقال رضي الله تعالى عنه أيضاً : كان الله تعالى أنزل شأن محمد ﷺ في التوراة والإنجيل لأهل العلم ، وعلَّمه لهم ، وجعله لهم آية ، فقال لهم : إن آية نبوته أن يخرج حين يخرج ولا يعلم كتاباً ولا يخطه بيمينه[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لم يكن رسول الله ﷺ يقرأ ولا يكتب[2].

وقال مجاهد رحمه الله تعالى : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يخطه بيمينه ، ولا يقرأ كتاباً ، فنزلت هذه الآية[3].

قال الضحاك رحمه الله تعالى : كان النبي ﷺ لا يقرأ ولا يكتب ، وكذلك جعل

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٢٠ : ٥٠ ، ٥١) والسنن الكبرى ، والدر المنثور (٦: ٤٧٠).

(٢) انظر : الدر المنثور (٦ : ٤٧١) وفتح القدير (٤ : ٢٠٧ – ٢٠٨) وعزواه للبيهقي .

(٣) تفسير الطبري (٢٠ : ٥١) والدر المنثور (٦ : ٤٧٠) وفتح القدير (٤ : ٢٠٧).

نعتَه في التوراة والإنجيل أنه أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وهي الآية البينة[1].

وقال قتادة رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الآية ـ : كان النبي ﷺ لا يقرأ كتاباً قبله ، ولا يخطه بيمينه ، وكان أُمِّيّاً ؛ لا يكتب[2].اهـ.

وقوله تعالى : ﴿ إِذًا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾.

قال الواحدي رحمه الله تعالى في الوسيط[3] : لو كنتَ قارئاً كاتباً ؛ لشك اليهود فيك ، وقالوا : إن الذي نجده في التوراة : أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ الكتاب ، وما كانوا يرتابون في نبوة محمد ، ﷺ ـ لما يجدونه من نعته ، ولكنهم جحدوا نبوته بعد اليقين ، فلو كان كاتباً قارئاً لكان بغير النعت الذي عرفوه ، فكانوا يشكون ، والمبطل الذي يأتي بالباطل ، وكلّ من ادعى دِيناً غير الإسلام فهو مبطل.اهـ.

فهم عرفوا صفاته ﷺ ؛ كما هي في التوراة والإنجيل ، ولكنهم كفروا عناداً وجحوداً بلا شبهة ، فلو كان قارئاً كاتباً لكان لهم شبهة في الرد ، وزعموا أنه ليس هو ، وعندهم مستندُ إنكارهم ـ وهو مخالفة ما عندهم من الصفات ـ فلم يجعل الله تعالى لهم مستنداً ولا مأخذاً .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الشريفة[4] : قد لبثتَ في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عُمراً ، لا تقرأ كتاباً ، ولا تحسن الكتابة ، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أُمِّيٌّ ، لا تقرأ ولا تكتب ، وهذه صفته في الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ

(١) تفسير الطبري (٢٠ : ٥١ – ٥٢) والدر النثور (٦ : ٤٧١).

(٢) تفسير الطبري (٢٠ : ٥٠) والدر المنثور (٦ : ٤٧١).

(٣) الوسيط (٣ : ٤٢٣) وانظر تفسير الطبري (٢٠ : ٥٠) وانظر فتح القدير (٤ : ٢٠٧) وعامة كتب التفسير .

(٤) تفسير ابن كثير (٣ : ٤١٧).

﴿ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ... ﴾ الآية[١].

وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً إلى يوم الدين ، لا يحسن الكتابة ، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده ، بل كان له كُتّابٌ ؛ يكتبون بين يديه الوحيَ والرسائلَ إلى الأقاليم ،...

وما أورده بعضُهم من الحديث : أنه لم يمت ﷺ حتى تعلَّم الكتابةَ ، فضعيف لا أصل له[٢].

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ ﴾ أي تقرأ ﴿ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ لتأكيد النفي ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ تأكيد أيضاً...

وقوله عز وجل : ﴿ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ أي لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس ، فيقول : إنما تعلم هذا من كُتُبٍ قبله مأثورةٍ عن الأنبياء ، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه ﷺ : أُمِّيٌّ ؛ لا يحسن الكتابة ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[٣]...اهـ.

قلت : فلما كان ﷺ أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، لم يكن هناك موضع للريبة ، ولا محل للشك أبداً ؛ لظهور نزاهته ، ووضوح معجزته ﷺ ، ولكنهم قالوا ذلك عناداً وجحوداً .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ ﴾ هي نفي للماضي ، لأن (ما) نافية ، ودخلت

---

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) قلت : هذا حديث لم يصح .

(٣) سورة الفرقان (٥).

على كان وهي للماضي ، وفعل (تتلو) للمضارع الذي يقتضي الحاضر والمستقبل ، فلما دخلت عليه (كان) انقلب إلى ماض ، فلما دخلت عليه (ما) النافية صار النفي الدائم في الماضي ، أي ما كنتَ - يا رسول الله - تقرأ قبل القرآن كتاباً ، ولا تقدر على ذلك ، لأنك أُمِّيٌّ ؛ لا تقرأ ولا تكتب .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ نفي للحاضر والمستقبل ، لأن (لا) النافية تنفي الحاضر والمستقبل ، فلما دخلت على فعل (تخط) المضارع نفت الخطَّ عنه في الحاضر والمستقبل ، وهو معطوف على سابقه ، أي ولا تكتبه في الحاضر والمستقبل ، لأنك لا تقدر على الكتابة .

وبهذا النص الشريف يتضح أن عدم الكتابة كانت ولا تزال وستبقى وستستمر صفةً لازمة لرسول الله ﷺ ، وذلك لأن سياق الآية مدنية - كما هو سياق الآيتين الأوليتين - حيث إن مجادلة أهل الكتاب إنما هو في المدينة ، وإيمان مَنْ آمن مِنْ أهل الكتاب إنما كان في المدينة ، وهم أحبار يهود ؛ كعبد الله بن سلام ، أو رهبان نصارى ؛ كسلمان الفارسي ، وأشباههما[1]، والله تعالى أعلم .

قال مجاهد رحمه الله تعالى - كما مر - : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يخط ولا يقرأ ، فنزلت هذه الآية .

وقال النحاس رحمه الله تعالى : وذلك دليل على نبوته ﷺ ، لأنه لا يكتب ، ولا يخالط أهل الكتاب ، ولم يكن بمكة أهل كتاب ، فجاءهم ﷺ بأخبار الأنبياء والأمم[2]، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٣ : ٤١٧) وفتح القدير (٤ : ٢٠٧) وغيرهما .

(٢) انظر : فتح القدير (٤ : ٢٠٧).

وقال الإمام البقاعي رحمه الله تعالى في نظم الدرر[1] : ولما أشار إلى أن المنكِرَ لأصل الوحي متوغلٌ في الكفر ، دل على ذلك بحال المنْزل إليه ﷺ ، فقال مسلّياً له : ﴿ وَمَا ﴾ أي أنزلناه إليك ، والحال أنك ما ﴿ كُنتَ تَتْلُوا۟ ﴾ أي تقرأ مواصلاً مواظباً في وقت ما .

ولما كان المراد نفيَ التلاوة عن كثير من الزمن الماضي وقليله ، أدخل الجار فقال : ﴿ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك ، وأكد استغراقَ الكتب فقال : ﴿ مِن كِتَـٰبٍ ﴾ أصلاً ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ ﴾ أي تجدد وتلازم خطَّه ، وصوَّر الخطَّ وأكده بقوله : ﴿ بِيَمِينِكَ ﴾ أي التي هي أقوى الجارحتين . وعبَّر بذلك إشارة إلى أنه لا تحدث الريبةُ في أمره لعاقل إلا بالمواظبة لمثل ذلك مواظبةً قوية ، ينشأ عنها ملكةٌ ، فكيف إذا لم يحصل أصلُ الفعل ، ولذلك قال : ﴿ إِذًا ﴾ أي إذ لو كان شيء من هذه المواظبة في التلاوة أو الخط التي يحصل بها الدُّرْبةُ المورثةُ للمَلَكَة ﴿ لَّٱرْتَابَ ﴾ أي لساغ أن تكلف أنفسهم الدخولَ في الرَّيْب ؛ أي الشك ﴿ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ أي هؤلاء الذين ينكرون الوحي إليك ؛ من أهل الكتاب ومن العرب ، ويقولون : هو سجع ، وكهانة ، وشعر ، وأساطير الأولين ، العريقون في وصف الإبطال ، أي الدخول في الباطل ، فكانوا يجدون مطعناً ، فتقول العرب : لعله أخذه من كتب الأقدمين ، ويقول الكاتبيون : المبَشَّر به عندنا أُمِّيٌّ ، ولكنه لم يكن شيء من قراءة ولا خط ، كما هو معروف من حالك ، فضلاً عن المواظبة لشيء منها ، فلا رِيبة في صدقك في نسبته إلى الله تعالى ، وإذا انتفت الريبة من أصلها صح نفي ما عندهم منها ، لأنه لما لم يكن لهم في الواقع شبهة ، عُدّت ريبتُهم

---

(١) نظم الدرر (١٤ : ٤٥٣ – ٤٥٤).

عدماً ، وسُمّوا مبطلين ، على تقدير هذه الشبهة ، لقيام بقية المعجزات القاطعة بالرسالة ، القاضية بالصدق ، كما قضت بصدق أنبيائهم ، مع أنهم يكتبون ويقرؤون ، وكتبهم لم تنزل للإعجاز .اهـ.

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نفى عن نبيه المصطفى ﷺ معرفتَه القراءة من أي كتاب ، ونفى عنه إمكانية الكتابة ومعرفة الخط وكتابته ؛ حتى لا تقع ريبة في أمره ، دل على أنه ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، كان وما يزال وسيستمر على ذلك ، والله تعالى أعلم .

الخامس عشر :

ومما يدل على أن رسول الله ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب : ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى من أن رسوله ﷺ ما كان يدري ما الكتاب ، ولا تفاصيل الدِّين بجزئياته ، وعلى رأسها الإيمان بتفاصيله ، حتى أنزل الله سبحانه وتعالى عليه الوحي ، فعلَّمه الإيمان والإسلام ،... وسائر الشرائع .

قال الله جل شأنه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى صفة رسوله الكريم ﷺ قبل أن يوحىٰ إليه بقوله جل شأنه : ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أي ما كنت تدري أي شيء هو ، وذلك لأنه ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا أدخل في الإعجاز ، وأدل على صحة نبوته ﷺ[2].

---

(١) سورة الشورى (٥٢).

(٢) انظر : فتح القدير (٤ : ٥٤٥) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٢ : ٣٢٢).

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية[1] : قيل : ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ أي كنت من قوم أُمِّيّين ؛ لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان ، حتى تكون قد أخذت ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم . وهو كقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ روى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما.اهـ.

فحرف (ما) الأولى في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ ﴾ نافية ، و (ما) الثانية في ﴿ مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾ استفهامية . فتنفي الأولى درايتَه ﷺ بالكتاب ، لعدم معرفته ﷺ بالقراءة والكتابة ، لأنه أُمِّيٌّ ، كما أنه ﷺ لا يعرف تفاصيل التشريع حتى نزل عليه الوحي .

فنفيُ الله تعالى عن رسوله ﷺ معرفتَه ودرايته بالكتاب أيَّ شيء هو : دلالةٌ على أُمِّيَّتِه ﷺ ، والله تعالى أعلم .

السادس عشر :

ومما يدل على أنه ﷺ كان أُمِّيّاً ، لا يقرأ من كتاب ، ولا يكتب : اختلافُ حاله ﷺ عن الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، الذين أنزلت عليهم كتب أو صحف ، حيث إنهم عليهم السلام لمعرفتهم بالقراءة والكتابة نزلت عليهم هذه الكتب جملة واحدة مكتوبة ، بخلافه هو ﷺ ، حيث نزل عليه القرآن الكريم منجَّماً مفرَّقاً حسب الحوادث والأسئلة ،...

ولهذا طالب كفار قريش ـ تعنُّتاً ـ منه ﷺ أن ينزل القرآن الكريم جملةً واحدةً مكتوباً ، كما هو الحال بالنسبة للأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ،

(١) تفسير القرطبي (١٦ : ٦٠).

فرد الله سبحانه وتعالى عليهم تعنتهم ، وأوضح سببَ إنزاله القرآن الكريم منجماً .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1].

يخبر الله سبحانه وتعالى عن اعتراضات الكفار وتعنتهم ـ سواء من مشركي قريش أو اليهود ـ حيث قالوا : هلا أنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله المصطفى ﷺ هذا القرآنَ دفعةً غير منجَّم ، ولا مفرَّق ، كما نزلت الكتبُ قبله دفعةً وجملةً واحدةً ، كالتوراة والإنجيل والزبور ـ وغيرها من الكتب الإلهية ـ حيث نزل كل كتاب على رسوله عليه السلام جملة واحدة .

فرد الله سبحانه وتعالى عليهم وأجابهم عن ذلك ، موضّحاً الحكمةَ من إنزاله القرآن الكريم على رسوله الكريم ﷺ منجَّماً مفرَّقاً في تلك السنين الثلاث والعشرين ، بحسب الوقائع والحوادث والأسئلة ،... وما يحتاج إليه من الأحكام ، ليقوِّي بهذا التنزيل ـ على تلك الصفة من التفريق ـ فؤادَ النبي المصطفى ﷺ ، وقلوبَ المؤمنين ؛ وليكون أقرب إلى الحفظ له ، وفهم معانيه ، وذلك من أعظم أسباب التثبيت ، وذلك لأنه إذا كان يأتيه الوحيُّ متجدداً في كل أمر وحادثة وسؤال ،... كان ذلك أزيد في بصيرته ﷺ ، وأقوى لقلبه ، ولهذا قال الله تعالى في هذه الآية : ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ .

فلو كان ﷺ عارفاً بالكتابة والقراءة ـ وكذا قومه ممن كان فيهم ـ لنزل عليه القرآن الكريم مكتوباً كما نزلت الكتب السماوية السابقة ، والحكمة الإلهية اقتضت أن ينزل منجَّماً ، ليُحفظ ، ويُحفظ به ، وليثبت به الأفئدة ، ولكي يتواءم مع الفطرة ومصلحة الإنسانية ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الفرقان (٣٢).

السابع عشر :

لقد أخبرنا النبي المصطفى الكريم ﷺ عن نفسه بأنه نبيٌّ أُمِّيٌّ ، وكان إخبارُه ﷺ عن ذلك في آخر حياته ﷺ .

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسولُ الله ﷺ يوماً كالمودِّع ، فقال : « أنا محمد النبيُّ الأُمِّيُّ ، أنا محمد النبي الأُمِّيُّ ـ ثلاثاً ـ ولا نبيَّ بعدي ، أُوتيت فواتح الكَلِم ، وجوامعَه ، وخواتمه ،... » الحديث رواه الإمام أحمد ـ بأسانيد ـ وحسن المنذري والسخاوي والهيثمي إسناده ، وصححه الشيخ أحمد شاكر بإسنادين ، وحسنه في الثالث[1].

فهذا الحديث قد قاله ﷺ في أواخر حياته الشريفة ، لقول عبد الله رضي الله عنه : خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودِّع . ومعلوم أن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما هاجر بعد صلح الحديبية .

وعن أبي مسعود البدري (عقبة بن عمرو) رضي الله عنه قال : أقبل رجل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ـ ونحن عنده ـ فقال : يا رسول الله ؛ أما السلام عليك فقد عَرَفْناه . فكيف نصلي عليك إذا صلينا في صلاتنا ، صلى الله عليك ؟

قال : فصمت رسول الله ﷺ ، حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله .

فقال : « إذا أنتم صليتم عليَّ فقولوا : اللهم صلِّ على محمد النبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد النبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن أبي شيبة وعبدُ بن حُميد ، وابن خزيمة والحاكم وابن حبان ،

(١) مسند أحمد (٢ : ١٧٢ ، ٢١٢) وطبعه أحمد شاكر بأرقام (٦٦٠٦ ، ٦٦٠٧ ، ٦٩٨١).

وصححوه وأقره الذهبي ، ورواه البيهقي والدارقطني ، وقالا : هذا إسناد حسن متصل . ورواه الطبراني وإسماعيل القاضي وغيرُهم ، وأصله في الصحيحين وغيرهما أيضا[1].

وقد ذكرت ـ من قبل ـ عدداً من الأحاديث أيضاً . فإذا كان الله تعالى أخبرنا عن رسوله الكريم ﷺ أنه أُمِّيٌّ ، وكذلك رسول الله ﷺ أخبر عن نفسه أنه أُمِّيٌّ ، فماذا يقول المؤمنون ؟ ما عليهم سوى التسليم ، والله تعالى أعلم .

الثامن عشر :

إن الأُمِّيَّةَ كما كانت ثابتةً للنبي الكريم ﷺ منذ ولادته ، وبقيت كذلك ملازمة له بعد شبابه وكبره وبعثته ، واستمرت كذلك حتى لحق ﷺ بالرفيق الأعلى .

ولا يعلم بخبر صحيح مفسّر أن النبي المصطفى الكريم ﷺ خط بيده الشريفة بعد النبوة كتاباً ، كما لم يُنقل إلينا ـ بطريق صحيح أو حسن بل حتى ضعيف ـ أنه ﷺ كتب بيده الشريفة ، أو قرأ كتاباً ، والذي نُقل إنما هي أقوال ، عدا عن كونها ضعيفة ـ بل ضعيفة جداً ، وبعضها لا أصل له ـ فهي مع هذا ليست صريحة في الكتابة أو القراءة .

ولو كان ﷺ كَتَبَ من غير تعلُّمٍ للكتابة ، أو قرأ من غير تعلُّم للقراءة ،

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١١٩) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب رقم (٩٨١) وعمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ٤٩) والسنن الكبرى له (٦ : ١٨ رقم ٩٨٧٧) ومسند عبد بن حُميد (رقم ٢٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٥٠٧ – ٥٠٨) وصحيح ابن خزيمة (٢ : رقم ٧١١) والمستدرك (١ : ٢٦٨) وصحيح ابن حبان (٥ : ٢٨٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ١٤٦ – ١٤٧) والسنن للدارقطني (١ : ٣٥٥) والمعجم الكبير (١٧ : ٢٥١ – ٢٥٣) والصلاة والسلام على النبي ﷺ (رقم ٥٩) وصححه السخاوي في القول البديع (٤٤ ٩ ونقل تصحيحه عن البيهقي أيضاً كما نقل تصحيحه عن الترمذي ، وجلاء الأفهام (٤ – ٥) لتصحيحه أيضاً .

لكان ذلك معجزة له ، ولنقلت إلينا ، كما هو الحال في سائر معجزاته ﷺ . وقد اعتنى كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين رحمهم الله تعالى في جمع معجزاته ﷺ ، ودققوا في جمعها ، ومع هذا فلم يذكروها ، ولم يشيروا إليها .

ثم كيف تذكر وهو ﷺ يقول عن نفسه حتى قبيل وفاته : إنه نبي أُمِّيٌّ ؟! كما مر في حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما ، الذي مر ذكره قبل قليل !!

ثم كيف تذكر والله عز وجل أخبرنا عن صفة حبيبه الكريم ﷺ في الكتب السابقة بأنه : ﴿ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ كما مر أيضاً في سورة الأعراف . في الدليل الثاني ، وكما جاء على لسان الرسل عليهم السلام ، وما سيقال عنه ﷺ يوم القيامة : بأنه النبيُّ الأُمِّيُّ ، والله تعالى أعلم .

التاسع عشر :

من المعلوم أن الذين كانوا في زمانه ﷺ - سواء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة - على قسمين :

القسم الأول : كانوا مناوئين مخالفين معاندين ،... كما هو الحال في كفار قريش في مكة ، وفي الكفار والمنافقين واليهود في المدينة ، إلى أن أسلم الكفار ، ولم يبق فيها إلا المنافقون واليهود .

والقسم الثاني : هم المسلمون الأتباع الصالحون المطيعون .

ومع هذا لم يقل أحدٌ من الفريقين ؛ من المشركين المعاندين واليهود والمنافقين ، ولا من المسلمين المتبعين : إن رسول الله ﷺ كان كاتباً قارئاً .

ولـمّا نزل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ الذي ينفي عن رسول الله ﷺ صفةَ القراءةَ والكتابةَ ، لم يُنقل عن أحد

منهم جميعاً أن قال : إن هذا مناقض للحقيقة . فلو كان كاتباً لقالوا : هذا خلاف الآية ، وهو خلاف الواقع .

ومن المعلوم أن الكفار ـ والأعداء عموماً ـ يتصيدون بكل شباك ، ويلتقطون كل سقطة ، ويشنعون بأدنى شبهة ، فلو كان ﷺ ممن يعرف القراءة والكتابة لقالوا : هذا مناقض ، فهو يكتب أو يقرأ ، والله تعالى يقول عنه : لا .

ولهذا عدل المشركون من ادعائهم أنه كتب ؛ إلى قولهم : إنه كُتب له . فقالوا كما قال الله تعالى عنهم : ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾ فلم يقولوا كتبها ، لعلمهم أنه أُمِّيٌّ ، وهم مع كونهم كفاراً لو قالوا : كتبها ، لكذّبهم الواقع ، ولكذّبهم القرآن الكريم ، كما كذّبهم في دعواهم ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾.

وأيضاً فإن أتباعه ﷺ ليسوا على درجة واحدة ، فلو كانوا يعلمون أنه ﷺ يعرف القراءةَ والكتابةَ ، ونزل قولُه تعالى نافياً عنه ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ لأنكروا ذلك ، بل لارتد بعضُهم ، كما حصل في قصة الإسراء والمعراج ، في الذين لم تحتمل عقولهم ذلك .

وأيضاً لم يُنقل عن اليهود الذين كانوا في المدينة ـ وهم ألدّ الأعداء ، وأحقدُ الحاقدين ـ لم ينقل عن أحد منهم القول : إن الذي وُجد وصفُه عندنا هو أُمِّيٌّ ، وأنت تقرأ وتكتب ، ولو كان شيء من ذلك موجوداً لقالوا به ، وشَنَّعوا .

فلما لم يحصل شيء من ذلك ؛ لا من المعارضين المشركين واليهود وأتباعهم ، ولا من المسلمين المتَّبعين ، دل على أنه ﷺ وُلد وعاش وبقي كذلك حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وهو : أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، بأبي هو وأمي ، والله تعالى أعلم .

العشرون :

إن الآيات التي جاءت في بيان أُمِّيَّتِه ﷺ منها المكي ومنها المدني[1] ، أما الأحاديث التي جاءت عنه ﷺ فكلها مدنية ، وليس فيها مكي ، ثم إن هذه الأحاديث منها ما قاله ﷺ في آخر حياته في المدينة ، ومنها قبل ذلك ، لكنها كلها في المدينة ؛ مما يدل على أن وَصفَ الأُمِّيَّة له ﷺ بقي ملازماً له حتى آخر حياته ﷺ ، والله تعالى أعلم .

الحادي والعشرون :

مما اتفق عليه علماءُ التفسير وغريب القرآن ومعاني القرآن ـ على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم ـ أن الأُمِّيَّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وأن النبيَّ المصطفى الكريم ﷺ كان كذلك أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يختلفوا في ذلك .

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى[2] : ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ الذين لا يكتبون ولا يقرؤون ، ومنه قوله ﷺ : « إنا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ، لا نكتب ولا نحسب ».اهـ.

وقال رحمه الله تعالى عند قوله عز وجل[3] : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ : هذا القول إبانة من الله جل ثناؤه عن أن الذين وعد موسى نبيَّه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التي وصفها جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ هم أُمَّةُ محمد ﷺ ، لأنه لا يُعلم لله تعالى رسولٌ وُصف بهذه الصفة ؛ أعني (الأُمِّيّ) غير نبينا محمد ﷺ ، وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل.اهـ. ثم ذكر الروايات

---

(١) الآيات التي ورد فيها لفظ (الأمي ، الأميين) هي مدنية ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ فهي مكية ، لأنها من سورة العنكبوت ، وهي مكية ، والله تعالى أعلم .

(٢) تفسير الطبري (٢ : ٢٥٧).

(٣) تفسير الطبري (١٣ : ١٦١).

في ذلك عن الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم .

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى[1] : ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ هو محمد ﷺ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو نبيكم ﷺ كان أُمِّياً ؛ لا يكتب ، ولا يقرأ ، ولا يحسب .

وقال إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى : كان لا يقرأ ولا يكتب .

وقال قتادة رحمه الله تعالى : هو نبيكم ﷺ ، كان لا يكتب.اهـ.

وقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى[2] : الأُمّيّ : منسوب إلى أُمّة العرب ، كما أنهم أُمِّيّون ، لا كتاب لهم ، ولا يقرؤون كتاباً ، ولا يكتبون .

قال أهل المعاني : كان هو ﷺ أيضاً أُمِّيّاً ، مثل الأمة التي بُعث فيهم ، وكانت البشارة به في الكتب قد تقدمت ، بأنه النبي الأُمِّيُّ ، وكونه بهذه الصفة أبعد من توهّم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة ، فكانت حالُه مشاكلةً لحال الأُمَّة التي بُعث فيهم ، وذلك أقرب إلى صدقه.اهـ.

وقال ابن جُزي الكلبي رحمه الله تعالى في التسهيل[3] : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله ، لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاء بالقرآن ، فإن قيل : ما فائدة قوله : ﴿ بِيَمِينِكَ ﴾ ؟ فالجواب : أن ذلك تأكيد للكلام ، وتصوير للمعنى المراد ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ أي لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرّق الشك إلى الكفار ، فكانوا يقولون : لعله تعلَّم هذا الكتابَ أو قرأه .

---

(١) تفسير البغوي (٢ : ٢٠٥).

(٢) تفسير الرازي (٣٠ : ٣).

(٣) كتاب التسهيل (٣ : ١١٨).

وقيل : وجه الاحتجاج ؛ أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، فلما جعله الله تعالى كذلك قامت عليهم الحجة ، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفاً للصفة التي وصفه الله تعالى بها عندهم .

والمذهب الصحيح : أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ، ولا كتب.اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره[1] : الأُمِّيّون : جمع أُمِّيٍّ . وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة ، قاله أبو العالية والربيع وقتادة وإبراهيم النخعي وغير واحد . وهو ظاهرٌ في قوله تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي لا يدرون ما فيه .

ولهذا في صفات النبي ﷺ أنه الأُمِّيُّ ، لأنه لم يكن يحسن الكتابة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ؛ لا نكتب ولا نحسب . الشهر هكذا وهكذا » الحديث . أي لا نفتقر في عبادتنا ومواقيتها إلى كتاب ولا حساب . وقال تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ... ﴾ .

وقال أيضاً في موضع آخر[2] : قد لبثتَ في قومك ـ يا محمد ـ من قبل أن تأتي بهذا القرآن عُمُراً ؛ لا تقرأ ولا تحسن الكتابةَ ، بل كل أحد من قومك وغيرِهم يعرف أنك رجلٌ أُمّيٌّ ؛ لا تقرأ ولا تكتب . وهكذا صفتُه في الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... ﴾ الآية .

وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة ، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده ،...إلخ.

---

(١) تفسير ابن كثير (١ : ١١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣ : ٤١٧).

ويصعب نقل أقوال المفسرين . إذ يطول جداً ، كيف وقد أجمعوا على ذلك[1].

لكن من أراد الاطلاع على أقوال علماء التفسير فيمكنه الرجوع إلى ما يلي ، والله تعالى الموفق والمعين :

انظر : تفسير السمرقندي (٢ : ٥٤٠) ومعاني القرآن للزجاج (١ : ١٥٩) (٢ : ٣٨١ ، ٣٩٠) ومعاني القرآن للنحاس (٣ : ٨٩) وتفسير الطبري (٢٠ : ٥٠ ـ ٥١) (٢٣ : ٣٧٢) والمحرَّر الوجيز لابن عطية (٧: ١٧٨) وتفسير الماوردي (٢ : ٢٦٨) (٦ : ٥ ـ ٦) والوسيط للواحدي (٢ : ٤١٦) (٣ : ٤٢٣) والكشاف للزمخشري (٤ : ٩٦) وزاد المسير لابن الجوزي (١ : ٩٠) (٨ : ١٩ ـ ٢٠) وتفسير الرازي (١٥: ٢٢ ـ ٢٣ ، ٢٩) وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٢ : ٣١٦ ـ ٣١٧) وتفسير القرطبي (٧ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩) (١٣ : ٣٥١) (١٨ : ٩٢) وتفسير الخازن (٢ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧) (٥ : ١٩٦) (٧ : ٨٦) وغرائب التفسير للنيسابوري (٩ : ٦٢ ، ٦٦) وتفسير أبي حيان (البحر المحيط) (٤ : ٤٠٣) والنهر الماد (٤ : ٤٠٣) وتفسير ابن كثير (١ : ١١٦) (٣ : ٤١٧) وتفسير البيضاوي (١ : ٣٦٢ ـ ٣٦٣) (٢ : ٢١٠ ، ٤٩٢) ونظم الدرر للبقاعي (٨ : ١٠٦ ، ١٣٠) وتفسير الثعالبي (٣ : ١٩٤) والدر المنثور للسيوطي (٣ : ٥٧٤ ـ ٥٧٥) وتفسير أبي السعود (٢ : ٤١٤) (٥ : ٣٢٧) وروح البيان لإسماعيل حقي (٣ : ٢٥١) وحاشية الجمل (الفتوحات الإلهية) (٢ : ١٩٨) (٤ : ٣٤١) والمقتطف لمصطفى المعصوري (١ : ٢٨١) وفتح القدير للشوكاني (١ : ١٠٤) (٢ : ٢٥٢) وروح المعاني للآلوسي (٩ : ٧٩) وفتح البيان لصديق حسن خان القنوجي (٥ : ٣٣ ـ ٣٤) وغيرها .

---

(١) انظر : تفسير الخازن (٢ : ٢٩٧) وفتح البيان لصديق حسن خان (٥ : ٣٣)

مع أني لم أستوعب ذكر المواطن في هذه الكتب ، لذا يمكن الرجوع إلى ما ذكرته وغيره : عند سورة البقرة (آية ٢٠) أو سورة آل عمران (آية ٢٠ ، ٧٥) أو سورة الأعراف (آية ١٥٧ ، ١٥٨) أو سورة العنكبوت (آية ٤٨) أو عند سورة الجمعة (آية ٢).

ولم يختلف علماء التفسير في معنى كلمة (الأُمِّي) وكذا لم يختلفوا في أنه ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وإن تنوعت اشتقاقاتهم لهذه اللفظة ، ونسبتها ، هل هي نسبة لأُمِّه ، أو هي على صفة العرب ، أو لخلقة الأُم الأُمِّيّة .

وكل هذه النسب تنطبق عليه ﷺ ، فهو قد وُلِدَ أُمِّيّاً ، ولم يتعلم القراءة والكتابة ، وأُمُّه ﷺ (آمنة) كانت أُمِّيَّةً هي الأخرى ؛ لم تقرأ ولم تكتب ، وقد ماتت وله ﷺ ست سنين ـ كما قال أهل السير ـ وهو من العرب الذين لم يعرفوا القراءة والكتابة ، إلا نادراً قبيل ولادته ﷺ ، ومنهم من نسبه إلى أم القرى ، لكن هذه النسبة ضعيفة ، كما نص على ذلك أكثر من واحد من العلماء . وقد سبق بيان ذلك مفصّلاً في المبحث الثاني من الفصل الأول ، والله تعالى أعلم .

الثاني والعشرون :

وكما اتفق علماء التفسير وغريب القرآن على أن (الأُمِّيَّ) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وأن النبي المصطفى سيدنا محمداً رسول الله ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ،... كذلك اتفق علماءُ الحديث وشرّاحه ، وشرّاحُ غريبه على ذلك أيضاً .

وقد جاءت عباراتهم في شرح الأحاديث الواردة في الكتب الستة وغيرها ، إضافة إلى كتب غريب الحديث ، ولا أستطيع استيعاب أقوالهم جميعاً ، لكن حسبي ذكر بعضها ، ثم أحيل إلى بعض المصادر الأخرى لمن أراد الاستزادة .

قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى في غريب الحديث[1] : إنما قيل لمن لا يكتب (أُمِّيٌّ) لأنه نسب إلى أُمّة العرب ، أي جماعتها ، ولم يكن من يكتب من العرب إلا قليل ، فنُسب من لا يكتب إلى الأُمَّة ، فقيل : أُمِّيٌّ ، كما تقول : رجل عامي . نسبة إلى عامة الناس ، ثم لزم هذا الاسم محلَّ من لا يكتب ، فقيل : العرب أُمِّيّون.اهـ.

وقال أبو عبيد الهروي رحمه الله تعالى في الغريبين[2] : قوله تعالى : ﴿ بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ هم مشركو العرب ، نُسبوا إلى ما عليه أُمّة العرب ، وكانوا لا يكتبون .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ وهو الذي على خِلقة الأمّةِ الأُمِّيَّة . ومنه الحديث : « بُعثتُ إلى أمةٍ أُمِّيَّةٍ ».

وقيل : هي التي على أصل ولادات أمهاتها ، لم تتعلم الكتاب ، فهو على جبلته التي ولد عليها ، نسب إلى ما ولدته عليه أمه ، معجزة له ﷺ.اهـ.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى في المشارق[3] : الأُمِّي : الذي لا يقرأ ولا يكتب ، قيل : نسب بصفته تلك إلى أُمِّهِ ، إذ هي صفة النساء ، وشأنهن غالباً ، فكأنه مثلها.اهـ .

وقال الإمام المازري رحمه الله تعالى في المعْلِم[4] : الأُمِّيّة : هي التي على أصل ولادات أمهاتها ، لم تتعلم الكتاب ، فهي على ما وُلدت عليه .

ومنه ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ ﷺ ، نُسب إلى ما ولدته عليه أُمُّه ، معجزةً له ﷺ.اهـ.

(١) غريب الحديث (١ : ٣٨٤).

(٢) كتاب الغريبين (١ : ٨٩).

(٣) مشارق الأنوار (١ : ١١٠).

(٤) المعلم بفوائد مسلم (٢ : ٤٤).

وقال الإمام أبو العباس القرطبي المحدث رحمه الله تعالى في المفهم[1] : الأُمِّي : هو الذي لا يكتب ، كما قال ﷺ : « إنا أُمَّةٌ أُمِّيّة ؛ لا نكتب ولا نحسب » وهو منسوب إلى الأُم ، لأنه باق على أصل ولادتها ، إذ لم يتعلم كتاباً ولا حساباً .

وقيل : يُنسب إلى معظم أُمَّة العرب ، إذ الكتابة كانت فيهم نادرة .

وهذا الوصف من الأوصاف التي جعلها الله تعالى من أوصاف كمال النبي ﷺ ، ومدحه بها ، وإنما كان وصفَ نقص في غيره ، لأن الكتابةَ والدراسة والدربة على ذلك هي الطرق الموصلة إلى العلوم التي بها تشرف نفسُ الإنسان ، ويعظم قدرُها عادة ، فلما خص الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بعلوم الأولين والآخرين من غير كتابة ولا مدارسة ؛ كان ذلك خارقاً للعادة في حقه ، ومن أوصافه الخاصة به ، الدالة على صدقه ، التي نعت بها في الكتب القديمة ، وعُرف بها في الأمم السابقة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾ .

فقد صارت الأُمِّيّةُ في حقه ﷺ من أعظم معجزاته ، وأجلِّ كراماته ، وهي في حق غيره نقصٌ ظاهرٌ ، وعجزٌ حاضرٌ ، فسبحان الذي صيَّر نقصُنا في حقه كمالاً ، وزاده تشريفاً وجلالاً .اهـ.

وقال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى[2] : إنما قيل لمن لا يكتب ولا يقرأ أُمِّيٌّ ؛ لأنه منسوب إلى أُمَّة العرب ، وكانوا لا يكتبون ولا يقرؤون ، ويقال : إنما قيل له أمي على معنى أنه باق على الحال التي ولدته أُمُّه ، لم يتعلم قراءة ولا كتاباً .اهـ.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (١ : ٢٦٧).

(٢) معالم السنن (٣ : ٢٠٩) وشرح السنة (٦ : ٢٢٩ – ٢٣٠).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم[1] : قال العلماء : أُمِّيَّةٌ باقون على ما ولدتنا عليه الأمهات ، لا نكتب ولا نحسب ، ومنه ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ وقيل : هو نسبة إلى الأم وصفتها ، لأن هذه صفة النساء غالباً.اهـ.

ويصعب نقل أقوال علماء الحديث والغريب لكثرتهم ـ كثَّرهم الله تعالى ـ لذا أذكر بعضَ المصادر ، ليمكن الاطلاع عليها ، لمن أراد الاستزادة من المعرفة ، والله تعالى الموفق والمعين .

وانظر : الفائق (١ : ٥٦) والنهاية لابن الأثير (١ : ٦٨) وجامع الأصول (٦ : ٢٨١) (١١ : ٢٦٢) وغريب الحديث لابن الجوزي (١ : ٤١) والمفردات للراغب (٨٧) والمجموع المغيث لأبي موسى المديني (١ : ٩٠) وشرح الكرماني لصحيح البخاري (٩ : ٩٢ ـ ٩٣) وعمدة القاري للعيني (٨ : ١٧٠) (١٠ : ٢٨٦) وفتح الباري (٤ : ١٢٧) وإرشاد الساري (٣ : ٣٥٩) وعون الباري (٢ : ٧٨١) وشرح الأبي ، وشرح السنوسي كلاهما لصحيح مسلم (٣ : ٢٢٤) وفتح الملهم (٣ : ١١٠) ومعالم السنن للخطابي (٣ : ٢٠٩) وشرح السنة (٦ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وشرح الطيبي للمشكاة (٤ : ١٤٥) ومرقاة المفاتيح (٤ : ٢٤٣ ـ ٢٤٤) وفيض القدير (٢ : ٥٤٩) والسراج المنير (٢ : ٣٥) ومجمع بحار الأنوار (١ : ٩١ ـ ٩٢) وعون المعبود (٦ : ٤٣٣ ـ ٤٣٤) (١١ : ٤٧٠ ، ٤٨٠) وتحفة الأحوذي (٨ : ٢٦٤) وحاشية السندي على سنن النسائي (٤ : ١٣٩ ـ ١٤٠) وغيرها أيضاً .

وهكذا نرى أيضاً اتفاق علماء الحديث وشرّاحه وشرّاح غريبه على معنى كلمة الأُمِّي ، وأنه الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وأنه ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ،

---

(١) شرح صحيح مسلم (٧ : ١٩٢ – ١٩٣).

كما لم تخرج أقوالهم في هذه النسبة عما ذكرتُه عن علماء اللغة والتفسير ،... وهي نسبة إلى أُمّة العرب ، أو إلى أُمّه ، أو إلى أصل ولادته ،..، والله تعالى أعلم .

وخلاصة الأمر : فإن علماء اللغة ، والتفسير ، والحديث ، والغريب ،... قد اتفقوا على أن الأُمِّيَّ : هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وإن اختلفوا في مدارسهم وتخصصاتهم ، إذ فيهم اللغوي الفذ ، والفقيه الفذ ، والمحدِّث الفذ ، والعقائدي ،... وفيهم ،... ولكنهم لم يختلفوا في معنى كلمة (الأُمِّي) وأنه الذي لا يقرأ ولا يكتب ، فمَن العلماء بعد هؤلاء ؟ اللهم إلا أن يخترع الإنسان المعاصر معنى جديداً يخالف معنى اللغة ، وما يعرف من أصلها واشتقاقها وفروعها ، وأن يكون هذا المتكلِّم لا يعرف من العربية إلا ما نطق به لسانه ، لعله جاء من وراء البحار ، أو قلّد مَنْ جاء مِنْ ورائها ، والله أعلم بحاله ونيته .

الثالث والعشرون :

لا يوجد أحد في الدنيا ـ من السابقين حتى اللاحقين ـ من عُرفت أحوالُه ، وضُبطت تصرفاتُه ، وسجلت حركاتُه وسكناتُه وأقوالُه ، وأسفارُه ، وأخلاقُه وشمائلُه ،... بالدقة المتناهية ، من مَلِك أو رئيس ، أو شيخ قبيلة ، بل حتى من نبي أو رسول الله ﷺ ،... ما حصل لرسول الله ﷺ .

لقد أحصى القرآن الكريم كثيراً من أحوال رسول الله ﷺ وتقلباته ، كما أحصت السنة كثيراً من ذلك ، ثم جاء الصحابة رضي الله عنهم فأحصوا لنا ما لا يخطر لنا على بال ، حتى أحصوا عددَ الشعرات البيضاء في رأسه ولحيته ، وصدره ،... ووصفوه وصفاً دقيقاً يصعب تصوره ، فلم يتركوا عضواً من أعضائه إلا وصفوه ، حتى الخفي منها ؛ كصدره ، وبطنه ، وإبطه ،... وذكروا أحوالَه الظاهرة والخفية ،

حتى علاقته مع أزواجه رضي الله عنهن في بيته ، وأحواله في مسجده ، وبين أصحابه ، وفي سِلْمه ، وفي حربه ،... فلم يتركوا لنا شيئاً مما يتعلق به ﷺ حتى لو كان عرضيّاً إلا ذكروه ، ذلك هو الحب الذي جعلهم يتمثلون ذلك كله ، ويحفظونه ، وينقلونه إلينا ـ وقد توسعت في بيان ذلك في (الشمائل) وَ (الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان) وفي غيرهما ـ لذا يصعب ذكر ذلك هنا ، فلم يذكروا أنه ﷺ يقرأ أو يكتب .

ومما أحصاه الصحابة رضي الله عنهم : أسفاره من صغره حتى بعثته ـ أي في حياته كلها ﷺ .

لم يخرج رسول الله ﷺ منذ كان عمره خمس سنوات إلى أن أكرمه الله تعالى بالبعثة سوى أربع مرات . وقد سطرها عامة أهل السير . إذ لا يوجد كتاب إلا ذكرها كلها أو أغلبها .

١ ـ عندما كان عمره ﷺ ست سنوات سافرت به أمه آمنة بنت وهب إلى المدينة المنورة لتُزيره أخوال جده ، وفي عودتها توفيت بالأبواء بين مكة والمدينة .

٢ ـ عندما بلغ ﷺ (١٢) اثني عشر عاماً سافر مع عمه أبي طالب إلى بلاد الشام مع قافلة قريش . ولكنه لم يدخل سورية ـ الآن ـ بل رجع من جنوب الأردن تقريباً ، عندما أقنع الراهب (بحيرىٰ) عمَّه ، أن لو عرف اليهود منه ما عرف لقتلوه ، وقد توسعت في بيان ذلك في (الإدراك عند الجمادات) وَ (وشوق الجمادات) وذكرت خلاصته في (محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد) .

٣ ـ لما بلغ عمره ﷺ (١٥) خمس عشرة سنة ، وقيل (٢٠) عشرين حضر مع أعمامه حرب الفجار ، والتي كانت بين كنانة بما فيهم قريش ، وبين قيس ،

ولكنه ﷺ لم يباشر القتال ، بل كان يُنبِّل على أعمامه ، أي يجمع لهم النبل .

٤ ـ ولما بلغ ﷺ (٢٥) خمساً وعشرين سنة سافر بتجارة خديجة رضي الله عنها إلى بلاد الشام ومعه غلامها ميسرة ، وضمن قافلة قريش ، ووصل ﷺ إلى بصرى ـ أي إلى حوران الآن ـ في سورية .

هذه هي المرات التي خرج فيها ﷺ خارج منطقة مكة . حتى نزل عليه الوحي ، مع رعيته ﷺ في صغره الغنم في منطقة مكة ، لأهلها على قراريط .

ومما أحصاه علماء المسلمين تبعاً لأصحاب رسول الله ﷺ ، ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، علاقاته الاجتماعية ، والمالية ، والأسرية ،... فمن شارك ، ومن خالط ، ومن صاحب ، ومن جالس ،...

وإذا علمنا أن مكة لم يكن فيها يهودي أو نصراني من أهلها ، إلا ما كان من ورقة بن نوفل ورفيقه ؛ اللذين خرجا يطلبان الدِّين في بلاد الشام . وهما زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، فتنصر ورقة حيث لقي راهباً لم يغير ولم يبدل ، ولذا كان يخبر بأوصاف النبي المصطفى الكريم ﷺ ويستبطئ ظهوره ، وأما زيد فرفض دين اليهودية والنصرانية ؛ وبقي على دين إبراهيم عليه السلام . وكلاهما ورد عنه الإيمان بالنبي المصطفى الكريم ﷺ قبل مبعثه .

كما أحصوا لنا معجزاته ﷺ ، والخوارق التي أجراها الله تعالى على يديه ، سواء كان ذلك في الحضر أو السفر ، في السلم أو الحرب ، في المسجد أو البيت أو الطريق ،... حيث لم يتركوا شيئاً يلفت النظر ـ ولو كان بسيطاً لا يخطر على البال ـ إلا ذكروه ، فلم يذكروا أنه ﷺ تعلَّم القراءةَ على سبيل المعجزة ، أو كتب على سبيل المعجزة . وكتب المعجزات والدلائل موجودة ، وقد أكرمني الله تعالى

بقراءة الكثير منها ، وله الحمد والمنة ، وليس شيء منها فيه ذلك ، مما يدل على عدم وجودها ، فضلاً عن حصولها ، علماً لو أنه حصل لكان من البدهي ذكره ، ولكنه لم يحصل ، والله تعالى أعلم .

كما أن قريشاً من القبائل العربية التي غلبت عليها الأُمِّيَّة ، حتى قيل لا يوجد فيها يوم مبعثه ﷺ سوى سبعة عشر ممن يعرف القراءة والكتابة ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فمن أين كان له ﷺ أن يتعلم القراءة والكتابة ، والله تعالى جل شأنه أراد أن يكون أُمِّيّاً ، ويبقى أُمِّيّاً ، لتتم المعجزة ؟

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى[1] ﷺ ، ما لفظه : وهو - ﷺ - رجلٌ ، كما قال الله تعالى - أُمِّيٌّ ؛ لم يكتب ولم يقرأ ، ولا عُرف بصحبة من هذه صفته ، ولا نشأ بين قوم لهم علمٌ ، ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ، ولا عُرف من قبلُ بشيء منها . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2] .

ولا غاب النبي ﷺ عن قومه ، ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب ؛ فيقال : إنه استمد منهم ، بل لم يزل بين أظهرهم ؛ يرعى في صغره وشبابه ، على عادة أبنائهم ، ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين ، ولم يطل فيهما مكثه مدةً يحتمل فيها تعلم القليل ، فكيف الكثير ! .

بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه وعشيرته ، لم يغب عنهم ، ولا

---

(١) الشفا (١ : ٥٠٧ - ٥٠٨ ، ٥١٠).

(٢) سورة العنكبوت (٤٨).

خالف حاله مدة مقامه بمكة ؛ من تعليم ، واختلافٍ إلى حَبْر أو قُسٍّ أو منجم أو كاهن .

بل لو كان هذا بعد كلُّه لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعاً لكل عذر ، ومدحضاً لكل حجة ، ومجلياً لكل أمر.اهـ.

فلو كان ﷺ ـ على سبيل الفرض والتخمين ـ قد سافر طويلاً ، وخالط من رجالات الأديان القدامى ، وتعلّم منهم ،... لو كان حصل شيء من ذلك لكان القرآن الكريم المعجز مزيلاً ومبطلاً لهذه الشبهة ، فكيف وهي لم تحصل أصلاً ، فلم يسافر طويلاً ، ولم يلتق بأحد من أهل الكتاب ، ولم يتعلم من أحد منهم من شيء ؟ والله تعالى أعلم . وانظر الفقرة التالية أيضاً .

الرابع والعشرون :

لو كان النبي المصطفى الكريم ﷺ يعرف القراءة والكتابة لاتُّهِم ـ حاشاه بأبي هو وأمي ـ بأخذ القرآن وتعاليم الإسلام من الكتب السابقة . واتُّخذ ذلك ذريعةً في الطعن في الإسلام كله ، بعد الطعن بالنبي المصطفى الكريم ﷺ . وفي هذه الحالة ما كان الله تعالى ليقرهم على هذه التهمة ، بل على الأقل إما أن يدافع الله تعالى عنه ـ كما هو في كل دفاعاته تعالى عنه ﷺ عما اتُّهِم به ـ أو يبرِّر تلك التهمة . وليس شيء من ذلك قد وُجد . مما يدل على البطلان .

يضاف إلى ذلك : لو كان شيء من ذلك موجوداً ـ وهو ليس كذلك البتة ـ لوجد التشابه بين القرآن الكريم وبين ما في تلك الكتب ، وهذا غاية البعد .

ثم كيف يمكن للنبي الكريم ﷺ أن يطلع على تلك الكتب وليس شيء منها مكتوباً بالعربية ، وإنما هي بالعبرانية ، وكان ﷺ أبعدَ الناس عن معرفتها ،

ولهذا طلب من زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتابة اليهود ـ في المدينة ـ كما سيأتي ـ فإذا كان ﷺ لم يتعلم كتابة العربية ، وليس في مكة من يعلم كتابة العربية إلا القليل النادر كما قلت من قبل ؛ فكيف يوجد فيها من يعرف العبرانية ، وهي حكر على اليهود ؟! . وهذا واضح بيِّنٌ ، كما في قصة بيت المدراس ، عندما زنا اليهوديّان ، وطلب رسول الله ﷺ من اليهودي أن يقرأ في التوراة ، فوضع يده على آية الرجم ، وقرأ ما قبلها وما بعدها ، حتى قال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه : ارفع يدك ، فإذا آية الرجم تلوح ، كما في الحديث المتفق عليه[1].

ولما حاول كفار قريش اتهام النبي المصطفى الكريم ﷺ أنه تعلّم من رجل أعجمي ـ وهو عامل بسيط كان يجلس عند المسعى ـ أو غيره ، ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم ردّاً قويّاً مفحِماً ، مبطلاً هذه التهمة ، ورادّاً هذه الفرية في نحورهم ، حتى يعودوا إلى رشدهم ، مع أن هذا الأعجمي لا يفقه العربية ، فكيف يتعلم منه من لا يفهم لغته ، إضافة إلى جهله بدينه .

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[2].

---

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ، رقم (٢٦ ، ٢٧).

(٢) سورة النحل (١٠١ – ١٠٥).

ففي الآيتين الأولى والثانية : يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه إذا نسخ آيةً زعم كفار قريش أن رسول الله ﷺ كذب على الله تعالى وتقوَّل عليه ما لم يقل - حاشاه - فرد الله سبحانه وتعالى عليهم ؛ بأن هذا القرآن قد نزل به جبريل عليه السلام من عند الله سبحانه وتعالى بالحق ؛ لتثبيت المؤمنين على الإيمان ، وهداية وبشارة لهم ، ولكن أكثر هؤلاء الكفار لا يعلمون .

ثم ذكر المولى تعالى في الآية الثالثة : أن الله تعالى يعلم أن هؤلاء الكفار يقولون إنما يُعَلِّمُ محمداً ﷺ بشرٌ من بني آدم - ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم ، وهو أعجمي لا يعرف العربية إلا اليسير منها ، وهو بقدر ما يرد الجواب الذي لا بد منه - وهذا كذب منهم وافتراء وبهت ، لذا رد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله تعالى : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ فهذا القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة ، وبيانه الواضح ، الذي أعجز بلغاء العرب وقادة البلاغة والفصاحة ؛ بأن يأتوا بمثله ، وعجزوا عن معارضة سورة منه ، بل هو أكمل كتاب نزل على الأرض ،... ثم هو ﷺ أعربُ العرباء ، وأفصحُ الفصحاء ، وأبلغ البلغاء ، وأكمل من نطق بالضاد وغيرها ،... فمن كان هذا هو حاله ، والكتاب هو كذلك ، كيف يتعلمه من رجل أعجمي ، جاهل بسيط ، ليس بعالم ولا فقيهٍ ، ولا يجيد من اللغة إلا ما يقضي حاجته ؟... لذا فلا يقول هذا القول من له أدنى مسكة من عقل .

ثم بيّن سبحانه وتعالى في الآية الرابعة حال هؤلاء المشركين ؛ بأنهم لا يهديهم الله تعالى ، لما علم من شقاوتهم ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، بسبب كفرهم وتكذيبهم وافترائهم على رسول الله ﷺ .

ثم بيّن المولى جل شأنه رادّاً على هؤلاء المشركين الذين اتهموا رسوله ﷺ بالافتراء ـ حاشاه ـ والتقولِ على الله تعالى ، مبيِّناً جل شأنه ـ في الآية الخامسة ـ أن الذي يفتري الكذب إنما هم غير المؤمنين ، وليس رسول الله ﷺ ؛ الذي هو رأس المؤمنين ، والداعي إلى الإيمان . بل الكفار هم المفترون للكذب ، وهو نعت لازم لهم ، وعادة من عاداتهم ، إذ لا كذب أعظم من تكذيبهم بآيات الله تعالى .

وقد كان هؤلاء الكفرة لا يَدْعون رسول الله ﷺ ـ قبل البعثة ـ إلا بالصادق الأمين ، وأخبروا عنه ﷺ بأنهم ما جرَّبوا عليه كذباً ، بل كان أصدَقهم ، وأبرَّهم ، وأكملَهم ،...

لقد قال أبو سفيان ـ قبل إسلامه ـ لهرقل ملك الروم عندما سأله : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . فقال هرقل : فقد عرفتُ أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله عز وجل ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

ونلاحظ هنا قول هرقل : (هل كنتم تتهمونه بالكذب ،... ؟) فقد عدل إلى السؤال عن التهمة ؛ عن السؤال عن نفس الكذب ، تقريراً لهم على صدقه ، لأن التهمة إذا انتفت : انتفى سببُها ، فلما نفى أبو سفيان تهمةَ الكذب عن رسول الله ﷺ ، يكون قد قرّر صدقَه ، واتصافَه ﷺ به ، بأبي هو وأمي .

وهذا ما قالوه هم عندما قال لهم ﷺ في أول بعثته ، وهو على جبل الصفا ، وقد دعاهم ، فقال : « أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوحي : الباب السابع ، وفي غيرهما ، وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، رقم (٧٤) وهو ضمن حديث طويل .

أكنتم مصدِّقيَّ ؟ » قالوا : ما جربنا عليك كذباً . فقال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ». متفق عليه[1] ، فقد أخرجاه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

وفي رواية البخاري ـ في تفسير سورة الشعراء ـ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً .

فهم يعرفونه ﷺ منذ الصغر بالصدق والأمانة ، وعدم الكذب والخيانة ، ولكن حماقتهم أبت إلا أن تتهمه ﷺ بالكذب ، وهذا غاية السفه والتناقض ، حيث جزموا له ﷺ في أول البعثة بأنه صادق ، وما جرّبوا عليه إلا الصدق . ثم جزموا أيضاً على لسان أبي سفيان بعد صلح الحديبية في السنة السابعة من الهجرة ـ أمام هرقل ـ بأنه صادق ، وما جرّبوا عليه إلا الصدق . وقد بيّن الله تعالى هذه الحقيقة بقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[2]. ولكن الحقد هو الذي حملهم على هذا التناقض ، والله تعالى أعلم .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى[3] ﷺ : ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ، ولا وجد الكفرةُ حيلةً في دفع ما نصصناه إلا قولهم : ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وَ ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾.

فرد الله تعالى قولهم هذا بقوله : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾.

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ الباب الأول . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ، رقم (٣٥٥).

(٢) سورة الأنعام (٣٣).

(٣) الشفا (١ : ٥٠٨ – ٥٠٩).

ثم قالوه مكابرة العيان ، فإن الذي نسبوا تعليمه إليه ، إما سلمان أو العبد الرومي ، وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ، ونزول كثير من القرآن ، وظهور ما لا يَنْعَدّ من الآيات .

وأما الرومي فكان أَسْلَمَ ، وكان يقرأ على النبي ﷺ [أي يتعلم منه ، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، عند الطبري وغيره] واختلف في اسمه ،...

وكلاهما أعجمي اللسان ، وهم الفصحاء اللد ، والخطباء اللسن ، وقد عجزوا عن معارضة ما أتى به ، والإتيان بمثله ، بل عن فهم رصفه ، وصورة تأليفه ونظمه ، فكيف بأعجمي ألكن .

نعم وقد كان سلمان ، أو بلعام الرومي ، أو يعيش ، أو جبر ، أو يسار ـ على اختلاف في اسمه ـ بين أظهرهم ؛ يكلمونه مدى أعمارهم ، فهل حُكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد ﷺ ؟ وهل عُرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك ؟ وما منع العدو حينئذٍ على كثرة عدده ، ودؤوب طلبه ، وقوة حسده ؛ أن يجلس إلى هذا فيأخذ عليه أيضاً ما يعارض به ، ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه ؟ اهـ .

فإذا كان العرب ـ وهم أهل اللغة والفصاحة والبلاغة ـ لم يفهموا كثيراً من الآيات القرآنية ؛ حتى بيَّنها وفسّرها لهم رسول الله ﷺ ، فكيف بأعجمي لا يعرف العربيةَ أن يفهم !!! ثم أين نظم القرآن وبلاغته وترصيفه ،... من سجع الكهان ، ورطن الأعاجم ، وتسجيع المشعوذين ؟ ولكن ماذا يفعل الحسد والحقد .

الخامس والعشرون :

إن كفار قريش ـ بل كل من في مكة ـ ممن عرف رسول الله ﷺ منذ الصغر

حتى بلوغه الأربعين ؛ عرفه أنه أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب . ولهذا لم يستطع واحد منهم ممن عاند وجحد وحسد وعارض ـ سواء ممن قُتل على كفره وعناده ، أو ممن هداهم الله تعالى فأسلموا وحسن إسلامهم ـ لم يستطع واحد منهم أن يتهمه ﷺ أنه كتب بيده ما جاء به من القرآن الكريم من كتب قديمة ، سواء كانت سماوية كالتوراة والإنجيل ، أو غير سماوية . بل كل الذي اتهموه به أنها كُتبت له ، وهي تُقرأ عليه صباح مساء . فلو كانوا يعلمون أنه ممن يَكتب لقالوا نقلها بيده ، أو كتبها بيده ، ولكن الذي وقع هو العكس .

ولهذا رد الله عز وجل عليهم ردّاً شديداً ، وسلّى رسوله ﷺ بأنهم لفشلهم صاروا يقولون مرة : إنه ساحر ، ومرة : إنه كاهن ، ومرة : إنه كاذب ،... يضربون له الأمثال . وهو حاشاه ـ بأبي وأمي ﷺ ـ من كل ذلك .

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[1] .

فقد أخبر الله تعالى ـ في الآية الأولى ـ أن الكفار يقولون : إن هذا القرآن مختلَق مكذوب ، افتراه النبي المصطفى الكريم ﷺ ـ حاشاه بأبي هو وأمي ـ وأعانه على جمعه جماعة آخرون ـ سواء من اليهود أو من غيرهم ، كما ذكر بعض المفسرين ـ ولكن قولهم هذا في غاية السخافة والجهالة والسفه .

لذا أخبر المولى تعالى عنهم بأنهم افتروا في قولهم هذا ، وهم يعلمون أنه باطل ، كما يعرفون أنهم يكذبون في قولهم هذا ، لأنهم قد علموا صدقَه ﷺ ،

---

(١) سورة الفرقان (٤ – ٦ ، ٩).

وما جرّبوا عليه كذباً كما قالوا ، وأخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم يعتقدون صدقَه ﷺ في حقيقة أمرهم ، ولكن يجحدون ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1] .

ولهذا قال الله تعالى عنهم هنا : ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ فقولهم هذا ظلم ؛ لأنهم نسبوا الفعل القبيح إلى من هو مبرأ منه ﷺ ، وأتوا بالزور ؛ حيث كذبوا في قولهم ، وهم يعلمون أنهم كاذبون .

ثم أنّىٰ لبشر أن يأتي بمثل هذا القرآن وإذا كانوا عجزوا هم عن الإتيان بمثله ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة ، وقد نزل بلغتهم ، فأنى ليهود أو عجم ـ وهم من الموالي البسطاء ـ أن يأتوا بمثله . لذا فهم يعلمون قبل غيرهم أنهم كاذبون مفترون أفّاكون ، ولكنهم نسبوا ذلك لمن هو بريء منه .

ومن الدلالة على إفلاسهم ـ وقد أكل الحسدُ قلوبَهم ، وملأ الغيظُ جوانحهم ، حتى لم يعد يعرفوا ما يصدر من رؤوسهم ـ اتهامُهم هذا القرآن بأنه أساطير الأولين ـ وكذبوا في ذلك أيضاً ـ ولكنهم لعلمهم بأنه ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، قالوا : اكتتبها ، فهي تُقرأ عليه صباح مساء .

وقالوا : ﴿ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ ولم يقولوا : (كتبها) لعلمهم بأنه ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب . إذ لو قالوا : (كتبها) لكذبهم الواقع الذي يعلمون علم اليقين ، بأنه أُمِّيٌّ ، ما قرأ ولا كتب ، ولذا قالوا : ﴿ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ وَ ﴿ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ أي سأل غيره أن يكتب له .

لأن اكتتب بمعنى استكتب ، واستكتب : أمر غيره أن يكتب له[2] ، مثل

---

(١) سورة الأنعام (٣٣).

(٢) انظر : لسان العرب (١ : ٦٩٨) وبصائر ذوي التمييز (٤ : ٣٣٠) وتاج العروس (١ : ٤٤٤) وغيرها .

احتجم وافتصد ، فعندما يقال : فلان احتجم ، أي حجمه غيره ، وفلان افتصد ، أي فصده غيره ، فلو كانوا يعلمون أنه يكتب لقالوا : كتبها .

ويكون معنى قولهم السفيه : أنهم يريدون بأساطير الأولين : القصص والأحاديث والأخبار التي سطرها الأولون ، وقد أمر بكتابتها ، وهي تُقرأ عليه ممن كتبها حتى يحفظها . يعني أن هؤلاء يُعلّمون رسول الله ﷺ طرفي النهار ، أو في جميع الأوقات .

ثم إن من المتعارف عليه أنه ﷺ كان أبلغ من تكلم بالعربية ، وأفصح من نطق بالضاد ، وأنه ﷺ أُعطي جوامع الكَلِم ، فمن كان هذا حاله فكيف يطلب ممن هو دونه بلاغة وفصاحة ولغة ،... أن يكتب له ؟؟؟ ثم إن القرآن الكريم كما هو واضح على نسق واحد ، وهو أعلى درجات البلاغة والفصاحة ،... فلو كان الذين كتبوا هم غير النبي المصطفى الكريم ﷺ لكان الخلل فيه واضحاً ، لاختلاف الأساليب والطرق في الكتابة ، ولا يوجد شيء من ذلك مما يدل على أن هذا محال .

لذا كان هذا القول في غاية السفاهة والسخافة والكذب والبهتان . لذا رد الله سبحانه وتعالى عليهم ، مبيناً أن هذا القرآن ليس من عند البشر إنما هو من عنده تعالى . كما قال في الآية الثالثة : ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ... ﴾ إلى آخر الآية . فهو ليس مفترى ، ولا هو مما يفترى ويفتعل بإعانة وكتابة آخرين ، وليس هو أحاديث ملفقة ، ولا هو أخبار مختلقة ، إنما هو أمر سماوي ، أنزله الذي يعلم السر وأخفى ، ولا يغيب عنه شيء في السمٰوات ولا في الأرض .

وبعد ذكر القرآن الكريم ما طعنوا به على رسول الله ﷺ ـ بعد طعنهم بالقرآن الكريم ـ قال الله تعالى مخاطباً نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ : ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ ﴾ ليتوصلوا بها إلى تكذيبك ، والتشكيك فيك وفي كتابك ، وكل ما قالوه فهي أقوال باطلة ، يعرفها من له أدنى معرفة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَضَلُّواْ ﴾ عن طريق الحق والصواب . فلا يجدون إليه طريقاً ، لذا قال : ﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره[1] : هذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته . كلُّ أحد يعلم بطلانه ، فإنه قد عُلم بالتواتر وبالضرورة أن محمداً رسول الله ﷺ لم يكن يعاني شيئاً من الكتابة ، لا في أول عمره ، ولا في آخره ، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله تعالى نحواً من أربعين سنة ، وهم يعرفون مدخلَه ومخرجَه ، وصدقَه ونزاهتَه ، وبرَّه وأمانتَه ، وبُعدَه عن الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة ، حتى إنهم كانوا يسمّونه في صغره وإلى أن بُعث : (الأمين) لما يعلمون من صدقه وبره .

فلما أكرمه الله تعالى بما أكرمه به نصبوا له العداوة ، ورموه بهذه الأقوال ، التي يعلم كلُّ عاقل براءته منها ، وحاروا فيما يقذفونه به ، فتارة من إفكهم يقولون : ساحر ، وتارة يقولون : شاعر ، وتارة يقولون : مجنون ، وتارة يقولون : كذاب . وقال الله تعالى : ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ .اهـ.

ثم لو كانوا يعلمون حقّاً أنه ﷺ ـ حاشاه ـ كاذب ، وأنه اختلق هذا القرآن ، وأنه كتبه من الكتب القديمة ،... أقول : لو كانوا يعلمون ذلك حقّاً فكيف يؤمنون

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٣٠٩).

به ، ويصدقونه ، ويتبعونه ،... ؟ إن الناظر في أحوال قريش ـ بعد صلح الحدَيْبِيَة ـ يرى العجب ، حيث أسلم منهم الكثيرُ جدّاً ، ومن نظر في أقوالهم ـ بعد إسلامهم ـ يرى ما يثير الدهشة ، حيث جزموا بنبوته ورسالته ﷺ ، وبصدقه وأمانته ،...إلخ لذا أحبوه وفَدوه وقدّموه واتبعوه ،...

مما يدل على أن ما كان قد صدر منهم ـ قبل إسلامهم ـ من اتهامهم النبي المصطفى الكريم ﷺ ـ بكل أنواع الاتهامات ـ : كان نزوة شيطان ، ومكابرة منهم ، وحسد وحقد ،... فلما بان الحق سارعوا إلى اعتناق الدين ، والإيمان برسول رب العالمين ﷺ ، واتباعه ، وتركوا ما كانوا يقولون ويفوهون ، والله تعالى أعلم .

السادس والعشرون :

بناء على ما جاء في كتاب الله تعالى : من كون النبي المصطفى الكريم ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وأنه ﷺ لم يتل من كتاب ولم يخط بيمينه ، انعقد الإجماع على ذلك[1] ، فلا يُعلم أحد من الصحابة رضي الله عنهم نُقل عنه خلاف ذلك . وكذا من التابعين ، فمن بعد ، اللهم إلا ما نُقل عن الشعبي رحمه الله تعالى : أنه ﷺ كتب يوم الحدَيْبِيَة على سبيل المعجزة ، وهو لم يصح عنه ، والحديث إليه ضعيف ، كما نص على ذلك الحفاظ ، لأنه مع كونه مرسلاً ، فهو من طريق ضعيف أيضاً . وقد سبق التنبيه إلى بطلان هذا القول .

كما تواترت الأخبار بذلك ، وقد ذكرت قبل أسطر نص ابن كثير رحمه الله تعالى ، حيث نَقل التواتر على أنه ﷺ لم يكتب ؛ لا في أول حياته ولا في آخرها .

(١) انظر : تفسير الخازن (٢ : ٢٩٧) وفتح البيان (٥ : ٣٣).

ولم ينفرد ابن كثير رحمه الله تعالى بذلك . بل وافقه على هذا النقل كثيرون ، والله تعالى أعلم . وانظر ما يأتي في الفقرة التالية .

السابع والعشرون :

لو كان ﷺ ممن يقرأ ويكتب : لاتُّخِذ ذلك ذريعة في الطعن في الرسالة ، بأنه نقل ذلك عن أهل الكتاب .

خاصة وقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من قصص الماضين ؛ من خلق آدم عليه السلام ، وما كان له مع الملائكة الكرام ، وما حصل له مع إبليس ، وقصة خروجهم من الجنة ، وقصة ولدي آدم عليه السلام ، وقصص الأنبياء السابقين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وما حصل لهم مع أقوامهم ، كنوح ، وإبراهيم ، وإسحٰق ، ويعقوب ،... إلى عيسى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وما حصل في الأمم السابقة من حوادث وأخبار ،... وكل هذه الأمور غير معروفة ولا مسطورة إلا عند أهل الكتاب . ومع هذا فهو ﷺ ما قرأ ولا سمع الكتب السابقة ، ولا اختلف إلى أهلها ،... وإنما تعلم ذلك بالوحي الرباني ؛ الذي أوحاه الله تعالى إليه .

فلو كان ﷺ ممن يكتب ويقرأ لوقع الاتهام ـ ولو كان غير صحيح ـ بأنه ما أخذ ذلك كله ـ أو بعضه ـ إلا من الكتب السابقة . ولكننا نرى الله تعالى أخبرنا بأن هذا الغيبَ السحيق لا يعلمه رسول الله ﷺ ولا قومُه معه ، بل لا يعلمه الناس ، لقدمه في الغيب ، ولولا أن الله تعالى أخبر نبيَّه الكريمَ ﷺ لما علم ذلك ، كما قال جل شأنه : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

---

(١) سورة هود (٤٩).

وكفار قريش لما انقطعت بهم السبل ، وأعيتهم الحجة ، وأُلجموا بالبرهان الساطع على صدقه ﷺ قالوا : ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ وقالوا : ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ وهم يعلمون قبل غيرهم أنهم كاذبون في ذلك الاتهام ، مفترون في تلك المقولة ، أفّاكون في ذلك الافتراء .

وذلك لـمّا انقطعوا وقامت حجته ﷺ ادعوا هذا عليه .

قال القاضي عبد الجبار رحمه الله تعالى في تثبيت دلائل النبوة[1] ـ في معرض رده على سؤال : أين لكم أنه ما قرأ الكتب ، ولا كان يختلف إلى أهلها ، ولا اختلفوا إليه ،... ؟ : نحن وإن لم نكن في زمانه ﷺ ، فقد علمنا أنه ﷺ ما قرأ هذه الكتب ، ولا اكتتبها ، ولا اختلف إلى أهلها ، ولا اختلفوا إليه ، ولا تلقّى ذلك عن أحد من الناس .

لأنه ما من أحد يطلب فنّاً من الفنون إلا وله في ذلك تارات وطبقات ؛ فأول ذلك أن يكون طالباً وسائلاً عمن عنده هذا الأدب وهذا الفن من العلم والأدب . ثم يختلف إلى أهله ويصحبهم ، فيكون تارةً مبتدئاً ، ثم متوسطاً ، ثم ماهراً متقدماً . وكل هذه الأحوال معروفة معلومة لأهل زمانه . ولا يجوز أن يذهب عليهم ، ولا يجوز أن يخفى ، ولا يكتم عن أحد كائناً من كان .

فلو كان قد تعاطاه ﷺ ثم اكتتم عليه لكان ذلك من أكبر آياته وأعظم معجزاته . فإذا العادة قد انتقضت به ، فقد أعطاه الخصم أكثر مما ادعى . ولو جاز أن يخفى ذلك ويتستر على أحد من الناس لما استتر ذلك على محمد ﷺ ، لأن

---

(١) تثبيت دلائل النبوة (١ : ٨٧ – ٨٩).

عدوه وطالبه والمتتبع لأمره والمفتش عن أحواله من قريش ، والأقربين من أهله ، ومن دهاة اليهود والنصارى وغيرهم : كثير . والطلب منهم شديد ، ودعواه النفسية عظيمة ، وقد ادّعى عليهم الفرية والكذب ، ولنفسه الصدق ، وصحبته عليهم ألا يكذب في شيء ولا يناقض ، ثم إن الذين اتبعوه لأنه نبي وصادق ، وقد عرف عدوُّه ووليُه منشأَه ومنقلبَه ومثواه ، ومعهم سافر ، وبينهم تربى ونشأ ، وأزواجه إنما هن بنات أعدائه وأوليائه الذين اعتقدوا صدق نبوته ، وهن ممن يعتقد صدقه ونبوته ، فمن هذه سبيله يتعلم الكتابة بالقلم الواحد أو بالأقلام المختلفة ، ويكتب ويقرأ ، ويختلف إلى أهل اللغات ، ويصحبهم ويأخذ عنهم ، ويتستر ذلك على أهله ونسائه وعدوه ووليه ؟ هذا لا يعتقده من تأمل الأمور وتدبرها . بل لو كان ذلك له ﷺ يوماً واحداً ، أو ساعة واحدة ، لعلم به الأولون والآخِرون ، للأحوال التي اختص بها ﷺ مما قدمنا ذكره ،...

فتأمل رحمك الله هذه الآية ، فإنها عظيمة جليلة ، ولو لم يكن له إلا هي لكفت وأغنت ، وانظر كيف يقول ، وقد اقتص قصة نوح عليه السلام ، ثم قال في آخرها : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] وانظر كيف يقول له : إن هذا ليس من علمك ولا من علم قومك ، والعدو والولي يسمع ذلك .

وتأمل قوله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة هود (٤٩).

(٢) سورة يوسف (١٠٢).

وانظر كيف يدل ويستطيل ويصول على العدو والولي ؛ بأنها هذا إنها ناله بالوحي ، وأنه ما قرأ كتاباً ، ولا خَطَّ ، وأنه قد كان في غفلة من هذا ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[1] ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2].

وتأمل قوله عز وجل في سورة القصص : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[3] وانظر إلى هذا الاحتجاج بأنه ما نال هذا ولا عرفه إلا بوحي من الله تعالى...إلخ.

قلت : وتأمل قوله عز وجل ـ بعد ذكره لقصة زكريا عليه السلام ودعائه أن يهبه الله عز وجل ذرية طيبةً ، وكيف بشرته الملائكة ـ وهو يصلي في المحراب ـ أن الله يبشره بيحيى عليه السلام ، وقصة مريم رضي الله عنها حين خاطبتها الملائكة عن أمر الله عز وجل لهم بذلك ، أن الله تعالى اصطفاها ، وشرفها ، وطهرها ، واصطفاها على نساء العالمين من عصرها ، ثم يقول تعالى بعد ذلك : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[4].

فقد أخبره الله عز وجل أن هذا العلم لم ينله ﷺ من قراءة كتاب ، ولا هو من

---

(١) سورة القصص (٨٦).

(٢) سورة العنكبوت (٤٨).

(٣) سورة القصص (٤٤ – ٤٦).

(٤) سورة آل عمران (٤٤).

عِلم أحد من البشر ، إنما هو وحي الله تعالى ، أطلعه الله تعالى عليه ، كأنه حاضر ، وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم رضي الله عنها أيهم يكفلها رغبة منهم في الأجر .

فكل هذه الأمور إنما هي من أمور الغيب البعيد ؛ لم يأخذها ﷺ من سؤال كتابي ، أو قراءة كتاب سابق ، إنما هو الوحي . لأنه لا يقرأ ولا يكتب . ولو كان قارئاً لاتهم بأخذها عن أهل الكتاب من كتبهم ، ولكن الله تعالى لما أثبت أنه الوحي الذي جاءه ، علم أنه غير متهم بذلك ، وأنه غير قادر على أخذها من الكتب ؛ لعدم معرفته ﷺ قراءتها .

فقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ ﴾صريح في نفي كتابته ﷺ أو اكتتابه ، لأن الوحيَ يتنافى مع ذلك كله ، فلو كان كاتباً لقيل : كتب بيده ، ونقل عن الكتب السابقة ، ولكن الله تعالى يقول : ﴿ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ ﴾ دلالة على أن ذلك كله غير موجود ، فلا هو عندهم ؛ لأنه من الغيب السحيق ، ولا هو ﷺ يكتب ، والله تعالى أعلم .

وأما سؤال النبي المصطفى الكريم ﷺ اليهود في المدينة بعد الهجرة عن بعض الأمور ، فهو لإقامة الحجة عليهم بما في كتبهم ، لا ليعرف ماذا عندهم .

وهذه الأسئلة إما عن وجود أوصافه ﷺ عندهم ، حيث أثبتها الله تعالى في التوراة والإنجيل - كما مر - ﴿ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ أو سؤاله عما عرفوه من الأحكام وكتموه ، ليحيي تلك الأحكام المتفق عليها بين جميع الشرائع ، كسؤاله عن الرجم عندهم لمن زنى وهو محصن ، كما في قصة الزانيين اليهوديين[1]. فهو عندهم ، لكنهم كتموه وغيروه ، حتى أظهره

(١) انظر صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب الرجم في البلاط ، وباب أحكام أهل الذمة ، وكتاب =

الله تعالى ، لذا أقام ﷺ حد الرجم على اليهوديين الذين زنيا ، وهكذا .

ولو كان ﷺ كاتباً لعلم حاله ، ولم يخف على أحد ممن كان في عصره ومصره مكة ، والله تعالى أعلم .

الثامن والعشرون :

لو كان النبي المصطفى الكريم ﷺ يكتب ويقرأ ؛ لما احتاج إلى أن يتخذ كتبةً يكتبون الوحي عند نزوله ، وقد عرف عدد من الصحابة رضي الله عنهم ممن كانوا يكتبون له ، حتى كانوا يكتبون له ﷺ جميع كتبه ورسائله ، ويقرؤون له ما يرد عليه من كتب .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان ، وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول : « ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ،... » الحديث ، رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وابن أبي داود ، والطبري ، والحاكم ، والبيهقي ، في آخرين ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي . قلت : وقال ابن كثير : إسناد جيد قوي ، وصححه الحافظ [1].

= التفسير : سورة آل عمران : باب ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب رجم اليهود ،... رقم (٢٦ - ٢٨).

(١) مسند أحمد (١ : ٥٧ ، ٦٩) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب من جهر بها ، رقم (٧٨٦ ، ٧٨٧) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة التوبة ، رقم (٣٠٨٦) وفضائل القرآن للنسائي من السنن الكبرى (٥ : ١٠ رقم ٨٠٠٧) وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢٨٠ ، ٢٨٥ - ٢٨٦) وكتاب المصاحف (٣٩ - ٤٠) ومقدمة تفسير الطبري (١ : ٣٤ - ٣٥) أو (١ : ١٠٢) ط شاكر ، والمستدرك (٢ : ٢٢١ ، =

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : أعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به ، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن ، حتى جمع من ذلك كثرة ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً ، فناشدهم لسمعتَ رسولَ الله ﷺ ، وهو أملاه عليك ؟ فيقول : نعم ،... الحديث . رواه ابن أبي داود بإسناد صحيح ، كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى[١].

فمن خلال هذين النصين الكريمين يتضح لنا كثرة الذين كانوا يكتبون لرسول الله ﷺ ، وأنه ﷺ كان قد أملى عليهم آيات القرآن الكريم عند نزولها .

وقد ذكر كثير من العلماء رحمهم الله تعالى مَنْ كان يكتب للنبي ﷺ ، ولكنهم لم يستوعبوا .

فقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى[٢] (١٣) ثلاثة عشر منهم .

وذكر الحافظان ابن حجر والعيني رحمهما الله تعالى[٣] (١٥) خمسة عشر رجلاً ، ثم قالا : في آخرين .

وذكر في السيرة الحلبية[٤] (٢٠) عشرين منهم .

وذكر الإمامان السهيلي وابن كثير رحمهما الله تعالى[٥] (٢٣) ثلاثة وعشرين

= ٣٣٠) وصحيح ابن حبان (١ : ٢٣٠ - ٢٣١) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٤٢) وفتح الباري (٩ : ٢٢) وفضائل القرآن لابن كثير (٢٤) بآخر تفسيره .

(١) المصاحف (٣١) وفضائل القرآن (٨٣ - ٨٤).

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر (٨٠).

(٣) فتح الباري (٩ : ٢٢) وعمدة القاري (٢٠ : ١٩).

(٤) السيرة الحلبية (٣ : ٣٢٦).

(٥) الروض الأنف (٤ : ٣٦) والسيرة النبوية (٤ : ٦٦٩ - ٦٦٧).

رجلاً ، ثم قالا : في آخرين .

وذكر الإمام القرطبي رحمه الله تعالى[1] (٢٦) ستة وعشرين ، ولم يذكرهم .

وذكر الحافظ ابن سيد الناس رحمه الله تعالى[2] (٤١) واحداً وأربعين .

وذكر الحافظان مغلطاي والعراقي رحمهما الله تعالى[3] (٤٢) اثنين وأربعين .

وذكر الإمام الصالحي رحمه الله تعالى[4] (٤٣) ثلاثة وأربعين .

وأكثر من ذكر ـ فيمن وقفت عليه ـ هو ابن حديدة الأنصاري رحمه الله تعالى[5] (٤٤) أربعة وأربعين .

أقول : وقد ذكرت في (نشأة علوم الحديث) عدداً من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً ، ممن كتبوا في حياة النبي المصطفى الكريم ﷺ وهم كثير ؛ كسعد بن عبادة ، وأسيد بن حضير ، وجعفر بن أبي طالب ، وجابر بن عبد الله ، وجابر بن سمرة ، وعبد الله بن عَمْرو ، وأبي أمامة الباهلي ، وأنس بن مالك ،... وغيرهم رضي الله عنهم ، ولم يذكرهم هؤلاء فيمن كتبوا للنبي ﷺ ، مع أنهم كتبوا الحديث في صحف لهم ، ولا أدري هل أنهم لم يكتبوا الوحي للنبي ﷺ ورسائله ،... وهذا مستبعد ، أم أنهم كتبوا لكن مَن ذكر أسماءَ الذين كتبوا لم يذكرهم اختصاراً ، وهذا وارد ، والله تعالى أعلم .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه قال :

---

(١) تفسير القرطبي (١٣ : ٣٥٣).

(٢) عيون الأثر (٢ : ٣١٥ – ٣١٦).

(٣) الإشارة ، مخطوط وقد أعددته للطبع ، ونظم السيرة النبوية بشرح المناوي (٢٤٤ – ٢٤٦).

(٤) سبل الهدى والرشاد (١١ : ٣٧٥ – ٣٩٠).

(٥) المصباح المضيء (١ : ٢٧ – ٢٤٠).

إنك كنت تكتب الوحيَ لرسول الله ﷺ ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري[1] ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى مطولاً بعد قليل .

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ استكتب عبد الله بن أرقم ، فكان يكتب عبد الله بن أرقم ، وكان يجيب عنه الملوك ، فبلغ من أمانته أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ثم يأمره أن يكتب ويختم ، ولا يقرؤه ، لأمانته عنده . ثم استكتب أيضاً زيد بن ثابت ، فكان يكتب الوحي ، ويكتب إلى الملوك أيضاً ، وكان إذا غاب عبد الله بن أرقم وزيد بن ثابت ، واحتاج أن يكتب إلى بعض أمراء الأجناد والملوك ، أو يكتب لإنسان كتاباً يُقطعه ؛ أمر جعفر [بن أبي طالب] أن يكتب ، وقد كتب له عمر ، وعثمان ، وكان زيد ، والمغيرة ، ومعاوية ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وغيرهم ، ممن قد سمى من العرب . رواه البيهقي بسند حسن ، كما قال الحافظ في الفتح[2].

قلت : وهذا النص يبين أواخر مراحل كتابة الكُتّاب للنبي ﷺ ، وذلك لأن عبد الله بن أرقم رضي الله عنه من مسلمة الفتح . وكان الفتح في السنة الثامنة في رمضان . وجعفر رضي الله عنه قدم إلى المدينة بعد فتح خيبر ، وهي في المحرم من السنة السابعة من الهجرة وكلاهما كان بعد صلح الحديبية ، الذي كان في ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة . وقد جاء في الحديث (واحتاج أن يكتب إلى بعض أمراء الأجناد والملوك...).

فلو كان ﷺ عارفاً الكتابة لما احتاج لمن يكتب له ، وهذا النص كما هو واضح

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كاتب النبي ﷺ ، وباب جمع القرآن الكريم ، وفي غيرها .
(٢) السنن الكبرى (١٠ : ١٢٦) وفتح الباري (١٣ : ١٨٤).

في آخر حياته ، لأن جعفر كما قلت : قدم والنبي المصطفى الكريم ﷺ في خيبر ، ثم قدم المدينة ، وقدوم عبد الله بن الأرقم إنما كان بعد فتح مكة .

وأول من كتب للنبي الكريم ﷺ في مكة هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وأما أول من كتب له ﷺ بالمدينة فهو أبي بن كعب رضي الله عنه .

لكن أكثر من كتب له ﷺ بعد ذلك فهو زيد بن ثابت ، لذا عُرف به ، بأنه كاتب الوحي ، وسبب تأخره في الكتابة لصغر سنه عندما قدم النبي المصطفى الكريم ﷺ ، فقد كان عمره رضي الله عنه عند قدوم النبي المصطفى الكريم ﷺ المدينة (١١) إحدى عشرة سنة . وأول مشاهده الخندق ، وهو ابن خمس عشرة سنة[١]، والله تعالى أعلم .

وكان رضي الله عنه شاباً فهماً ذكياً حافظاً ضابطاً ، كان ذا موهبة في الحفظ عجيبة ، لهذا لما قدم النبي المصطفى الكريم ﷺ المدينة ، وأتى بنو النجار بزيد رضي الله عنه ، وقد حفظ سبع عشرة سورة ، وأعجبت قراءتُه رسولَ الله ﷺ ، طلب ﷺ منه أن يتعلم له لسان يهود .

فعنه رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود ، قال : « إني والله ما آمن يهود على كتابٍ » قال : فما مر بي نصفُ شهر حتى تعلمته له . قال : فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم ، وإذا كتبوا له قرأتُ كتابهم . رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم ، ووصله في تاريخه الكبير ، ورواه أحمد أبو داود وابن سعد ، والطبراني والفاكهي ، وصححه الترمذي والحاكم ،

(١) انظر ترجمته رضي الله عنه في الاستيعاب (٢ : ١١١ – ١١٣) وأسد الغابة (٢ : ١٢٦ – ١٢٧) والإصابة (٢ : ٥٩٢ – ٥٩٥) وتهذيب الكمال (١٠ : ٢٤ – ٣٢) وسير أعلام النبلاء (٢ : ٤٢٦ – ٤٤١).

وأقره الذهبي[1].

ورواه أحمد والفسوي وابن سعد وإسحٰق ابن راهويه والترمذي ، وابن أبي داود والطبراني ، وصححه الترمذي والحاكم وابن حبان ، وعزاه الحافظ : لإسحٰق ابن راهويه وأبي يعلى ، وزاد في التغليق نسبته لابن المديني[2] ، بلفظ : قال لي رسول الله ﷺ : « أتحسن السريانية ؟ » الحديث بطوله .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يكتبون عن النبي المصطفى الكريم ﷺ القرآن الكريم وغيره . فنهاهم ﷺ في بادئ الأمر ألا يكتبوا إلا القرآن الكريم ، خشية أن يلتبس به غيره ، إلا ممن وثق منه عدم اللبس ، ثم في آخر حياته ﷺ أذن لهم أن يكتبوا حديثَه أيضاً ، كما بينت ذلك في « نشأة علوم الحديث ».

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » رواه مسلم[3].

والنصوص في كتابة الصحابة رضي الله عنهم كثيرة ، والحمد لله ، لكن اقتصرت على ذكر القليل جداً منها .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب ترجمة الحكام ، والتاريخ الكبير (٣ : ٣٨٠ - ٣٨١) مسند أحمد (٥ : ١٨٦) وسنن أبي داود : كتاب العلم : باب رواية حديث أهل الكتاب ، رقم (٣٦٤٥) وسنن الترمذي : كتاب الإستئذان : باب ما جاء في تعلم السريانية ، رقم (٢٧١٥) والطبقات الكبرى (٢: ٣٥٨ - ٣٥٩) والمعجم الكبير (٥ : ١٤٦رقم ٤٨٥٦ ، ٤٨٥٧) والمستدرك (١ : ٧٥) وتغليق التعليق (٥ : ٣٠٧) وفتح الباري (١٣ : ١٨٦).

(٢) مسند أحمد (٥ : ١٨٢) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين : رقم (٢٧١٥) والمعرفة والتأريخ (١ : ٤٨٣ - ٤٨٤) والمصاحف (٧) والمعجم الكبير (٥ : ١٧٣) والمستدرك (٣ : ٤٢٢) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٨٤) والطبقات الكبرى (٢ : ٣٥٨) وتغليق التعليق (٥ : ٣٠٨) وفتح الباري (١٣ : ١٨٦) وهدي الساري (٦٩).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الزهد : باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ، رقم (٧٢).

التاسع والعشرون :

ومما يدل على أنه ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب : ما كان يفعله ﷺ إذا نزل عليه القرآن ، حيث كان يأمر مَن يكتب له الوحي ـ إن كان حاضراً ـ أن يكتب له ، وهو يملي عليه ، وإن كان غائباً استدعاه ، وأمره بإحضار أدوات الكتابة من اللوح والدواة والكتف ونحوها . وكان أكثر ما يستدعي ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وذلك لأنه كان جاراً له ﷺ ، إضافة إلى كونه شاباً عاقلاً أميناً جيدَ الخط ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ عند ذكر جمع القرآن زمن الصديق رضي الله عنه ، لكني أذكر هنا حديثاً للدلالة على ذلك .

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : لما نزلت ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ... ﴾ قال النبي ﷺ : « ادع لي زيداً ، وليجئ باللوح والدواة والكتف ـ أو الكتف والدواة ـ ثم قال : اكتب : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ... وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ » وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم ، فقال : يا رسول الله أنا ضرير . فنزلت مكانها : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ متفق عليه[1].

وقد رواه البخاري بنحوه من حديث زيد رضي الله عنه .

وهذا الحديث صريح في دلالته ، إذ لو كان النبي المصطفى الكريم ﷺ عارفاً الكتابة لما احتاج إلى استدعاء زيد رضي الله عنه ، ومعه أدوات الكتابة . ولكتب ﷺ بنفسه ، ولكنه لا يحسنها .

وهكذا شأن القرآن الكريم كله كتبه الكتبة ، وليس النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وقد مر قبل قليل ـ في الفقرة الثامنة والعشرين ـ قول عثمان رضي الله عنه :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة النساء . وكتاب فضائل القرآن : باب كاتب النبي ﷺ . وفي غيرها أيضاً . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين ، رقم (١٤١).

أعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به ، فكان الرجل يجيء بالورقة ، والأديم فيه القرآن ، حتى جمع من ذلك كثرة ، ثم دخل عثمان ، فدعاهم رجلاً رجلاً ، فناشدهم ، لسمعتَ رسول الله ﷺ ، وهو أملاه عليك ؟ فيقول : نعم ،... رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف بإسناد صحيح ، كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى[1].

فهذا النص فيه أمور كثيرة : منها دلالته على كثرة من كان يكتب القرآن بين يدي رسول الله ﷺ ، وبإملائه ﷺ ، فلو كان ﷺ عالماً بالكتابة لكتب ، ولَمَا احتاج إلى هذه الكثرة الكاثرة ممن كتبوا له ، والله تعالى أعلم .

الثلاثون :

ومما يدل على أن رسول الله ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وإنما كان الصحابة رضي الله عنهم هم الذين كانوا يكتبون له : أنه ﷺ لم يكتب المصحف الشريف ، ولم يجمعه في مصحف واحد ، حتى جمعه أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه ، بمشورة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، وجزاهما الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خيراً .

فلو كان ﷺ يعرف القراءة والكتابة لكتب القرآن ، ولما تركه من غير جمع ، ولما احتاج الناس إلى جمعه في زمن الصديق رضي الله عنه . ولما اختلفوا في الحروف حتى كان جَمْعه على حرف واحد زمن عثمان رضي الله عنه ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وهذه القضية لشدة شهرتها ، وكثرة تداولها ، وأنها كانت بمحضر الصحابة

---

(١) المصاحف (٣١) وفضائل القرآن (١٤) بآخر التفسير ، وجمال القراء (١ : ٨٨ - ٨٩).

رضي الله عنهم ـ في المرتين : أغنت عن ذكر الأسانيد فيها ، لأنها متواترة ، منقولة بالكثرة ، معلومة بالضرورة . لكني أذكر حديثاً واحداً يبين لنا قصة الجمع الأول ، وكيف حصل ، ثم أذكر ما يستنبط منه .

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إليَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه مقْتلَ أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنده . قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر رضي الله عنه أتاني ، فقال : إن القتلَ قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتلُ بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن [إلا أن تجمعوه] وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن .

قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني ، حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

[قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : وعمر ـ رضي الله عنه ـ عنده جالس لا يتكلم].

قال زيد : قال أبو بكر رضي الله عنه : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنتَ تكتب الوحيَ لرسول الله ﷺ ، فتَتَبَّع القرآنَ فأجمعه .

[قال زيد] : فوالله لو كلَّفوني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال أبو بكر رضي الله عنه : هو والله خير .

[قال زيد] : فلم يزل أبو بكر رضي الله عنه يراجعني ، حتى شرح الله

صدري للذي شرح له صدرَ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

فقمت ، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللخاف [والرقاع ، والأكتاف] وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة [وفي رواية : ابن خزيمة] الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى نهاية براءة .

فكانت الصحف عند أبي بكر رضي الله عنه ، حتى توفاه الله ، ثم عند عمر رضي الله عنه حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ، رواه البخاري[1].

وهذا النص الكريم فيه أمور كثيرة ، لكن يهمني منها ما يلي :

١ ـ لم يكن القرآن الكريم مكتوباً في مصحف واحد في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ ، لذا اضطر الصحابة رضي الله عنهم إلى جمعه ، بعد أن ألهم الله سبحانه وتعالى المحَدَّث الملْهَم عمرَ رضي الله عنه ، بذلك .

ويدل على هذا قول زيد بن ثابت رضي الله عنه ـ في هذا النص ـ : قُبض النبيُّ ﷺ ، ولم يكن القرآن جمع في شيء . رواه الديرعاقولي في فوائده بإسناد صحيح ، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى[2].

وسبب عدم جمع القرآن في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ في المصحف ـ كما قال الإمام الخطابي وغيره رحمهم الله تعالى ـ : لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته . فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ؛ ألهم اللهُ تعالى الخلفاءَ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب جمع القرآن . وكتاب التفسير: سورة براءة : باب ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ... ﴾ ، وكتاب الأحكام : باب ما يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً .

(٢) فتح الباري (٩ : ١٢) والإتقان (١ : ٥٧).

الراشدين رضي الله تعالى عنهم ذلك ، وفاء لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية ، زادها الله تعالى شرفاً [﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾].

فكان ابتداء ذلك على يد الصديق رضي الله عنه ، بمشورة عمر رضي الله عنه[1].

قلت : وكذا احتمال نزول آيات ضمن السور ، فقد مر حديث ابن عباس عن عثمان رضي الله عنهم ـ في الفقرة الثامنة والعشرين ـ قال : كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعضَ من يكتب له ، فيقول : « ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي ، وأبو عبيد وابن أبي داود ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، وغيرهم .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر . رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع كتاب الله عز وجل . رواه ابن أبي داود وأبو عبيد وابن أبي شيبة ، وابن سعد ، وأحمد وعلم الدين السخاوي ، وصححه ابن كثير ، وحسنه الحافظان ابن حجر والسيوطي[2].

فلو كان القرآن الكريم مجموعاً مكتوباً في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ لما احتاج الصحابة رضي الله عنهم إلى جمعه وكتابته . وما فعلوه إلا حرصاً على كتاب الله تعالى ، وتصديقاً لوعده الكريم بحفظه .

---

(١) انظر : فتح الباري (٩ : ١٢) والإتقان (١ : ٥٧).

(٢) المصاحف (١١ – ١٢) وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢٨٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٥٤٤) (١٤ : ٧٢) والطبقات الكبرى (٣ : ١٩٣) وفضائل الصحابة (١ : ٢٣٠ ، ٣٥٤) وجمال القراء (١ : ٨٥) وفضائل القرآن لابن كثير (٨) وفتح الباري (٩ : ١٢) والإتقان (١ : ٥٧).

٢ ـ إن سبب جمعهم للقرآن الكريم ـ كما هو واضح من النص ـ هو قتلُ القرّاء من الصحابة رضي الله عنهم في معركة اليمامة في حروب المرتدين ، وعلى رأس القرّاء : سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما . وهو أحد النفر الذين أمر النبي المصطفى الكريم ﷺ بأخذ القرآن عنهم .

وذلك أن القراء رضي الله عنهم بدؤوا يتدافعون على الجهاد ، طلباً للشهادة ، ونصرة للإسلام ، لذا خشي عمر رضي الله عنه ـ وهو المحدَّث الملهم ـ ذهابَ القرآن الكريم إن لم يدوَّن ـ بذهاب القرّاء شهداء في المعارك الأخرى ، لأنه قيل : قد قتل منهم ـ أي من الصحابة رضي الله عنهم ـ يوم اليمامة (٧٠٠) وقيل : بل أكثر ، منهم (٧٠) سبعون من الحفاظ ، فإذا استحر القتل فيهم لتسابقهم إلى المعارك ، فإنه سيذهب بذهابهم قرآنٌ كريم كثيرٌ . لذا أشار عمرُ على الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن قبل أن يفوت . وهذا من نعم الله تعالى على هذه الأمة .

٣ ـ المراد بجمع القرآن زمن أبي بكر رضي الله عنه هو تأليف الآيات في السور ، يعني أن تجمع آيات كل سورة تحت مسمى تلك السورة ، مع بقاء الأحرف السبعة ، وترتيب السور في المصحف حسب توقيتها ، ويكتب ذلك كله في صحيفة واحدة ، فيكتب كل ما تفرق في السورة الواحدة في صحيفة ، ثم تجمع تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور . وقد كُتب على الورق ، وهو المصحف .

٤ ـ إن نفرة أبي بكر ثم زيد رضي الله عنهما عن الكتابة أولاً ، لأنهما ـ كما قال ابن بطال رحمه الله تعالى ـ : لم يجدوا رسول الله ﷺ فعله ، فكرها أن يُحلّا

أنفسَهما محلَّ من يزيد احتياطه للدِّين على احتياط رسول الله ﷺ ، فلما نبههما عمر رضي الله عنه على فائدة ذلك ، وأنه خشي أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن ، فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة : رجعا إليه.اهـ.[١].

وفعلهما رضي الله عنهم ليس من الزيادة على احتياط رسول الله ﷺ ، بل هو مستمد من القواعد التي مهَّدها ﷺ ، لأنه ﷺ كان قد أذن في كتابة القرآن ، بل أمر بكتابته ، وكُتب بين يديه ، ونهى أن يُكتب معه غيره ـ كما مر ـ فلم يأمر أبو بكر رضي الله عنه إلا بكتابة ما كان مكتوباً ، ولذلك توقف رضي الله عنه عن كتابة الآية من آخر سورة التوبة ، حتى وجدها مكتوبة ، مع أنه كان يستحضرها ومن ذكر معه ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى ـ .

وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذلك : جزم بأن ذلك يُعد في فضائله ، ويُنوِّه بعظيم منقبته[٢] ، رضي الله عنه وأرضاه ، وقد فعل .

٥ ـ لقد رسم الصديق رضي الله عنه للفاروق عمر وزيدٍ رضي الله عنهما خطة العمل . وذلك بأن يقعدا على باب المسجد ، وطلب من الناس ؛ من كلِّ من كتب شيئاً بين يدي رسول الله ﷺ ؛ أن يأت به ، ولا يُقبل من أحدهم شيء حتى يَشهد شاهدان أنه كتب ذلك بعينه بين يدي رسول الله ﷺ .

قال عمر رضي الله عنه : من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به . وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من

---

(١) انظر : فتح الباري (٩ : ١٣ – ١٤).

(٢) انظر : فتح الباري (٩ : ١٣ – ١٤).

أحد شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان[1].

وكان أبي بن كعب رضي الله عنه هو الذي يملي ، وزيد بن ثابت رضي الله عنه هو الذي يكتب . وكلاهما من كتاب الوحي ، وممن جمع القرآن في عهده ﷺ ، وكان أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أحدَ أربعةٍ ممن أمر ﷺ بأخذ القرآن عنهم .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ ؛ كلهم من الأنصار : معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . متفق عليه[2].

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة ». متفق عليه[3].

ولم يدرك سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما جمع القرآن في زمن أبي بكر رضي الله عنه . لأنه استشهد في حروب المرتدين في اليمامة ، لذا خاف عمر رضي الله عنه ذهابَ الباقين .

---

(١) انظر : المصاحف (١٧) وفتح الباري (٩ : ١٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب القراء من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكتاب الفضائل ، في عدة أبواب . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم ، رقم (١١٩ - ١٢٠)

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : الباب السابق ، وكتاب فضائل الصحابة ، وكتاب مناقب الأنصار ، في مواضع . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ، رقم (١١٦ - ١١٨).

كما أن معاذاً رضي الله عنه لم يدرك جمع القرآن في زمن عثمان رضي الله عنه ، لأنه تُوفِّي في طاعون عمواس في خلافة عُمر رضي الله عنه ، كما هو معلوم .

وسبب تخصيص هؤلاء الأربعة رضي الله عنهم بأخذ القرآن عنهم : إما لأنهم كانوا أكثر ضبطاً له ، وأتقن لأدائه ، أو لأنهم تفرغوا لأخذه من رسول الله ﷺ مشافهة ، وقصدوا لأدائه من بعده ، فلذلك ندب ﷺ إلى الأخذ عنهم ، لا أنه لم يجمعه غيرهم[1] ، فقد جمعه في زمانه ﷺ عدد من الصحابة ، كما بينت ذلك في غير هذا الكتاب .

٦ ـ قوله رضي الله عنه : (لم أجدها مع أحد غيره) يعني : مكتوبة وفي تلك اللحظة ، أي عند كتابتها . وذلك لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ـ كما مر ذكره ـ وقد كان زيد رضي الله عنه يطلب التثبت ممن تلقاها بغير واسطة من النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وفائدةُ التَّتَبُّع : المبالغةُ في الاستظهار ، والوقوفُ عند ما كُتب بين يدي رسول الله ﷺ .

وقد وُجدت هذه الآية مكتوبةً عند الحارث بن خزيمة رضي الله عنه ، وإلا فإن زيداً رضي الله عنه كان يحفظها ، وممن شهد بسماعها وحفظها أيضاً : عمرُ وعثمان وأبي بن كعب رضي الله تعالى عنهم ، وكان النبي المصطفى الكريم ﷺ قد أقرأها أبي بن كعب رضي الله عنه أيضاً[2]. كما كان يحفظها العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم ، خاصة الذين جمعوا القرآن في زمانه ﷺ ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر فتح الباري (٧ : ١٠٢).

(٢) انظر المصاحف (١٥ ، ٣٨ – ٣٩) وجمال القراء (١ : ٨٧) وفضائل القرآن لابن كثير (٩) وفتح الباري (٩ : ١٥ – ١٦).

الحادي والثلاثون :

إن ما تواتر في السنة الشريفة كون القرآن الكريم قد نزل على سبعة أحرف[1]. تسهيلاً على الناس ، ورفع الحرج والمشقة عنهم ، لأنه ليس جميع من أسلم في زمانه ﷺ هم من قريش ، خاصة بعد فتح مكة ، ونزولُ القرآن الكريم على سبعة أحرف كان متأخراً ، والذي يبدو لي بعد الفتح ، والله تعالى أعلم .

وبعد وفاة رسول الله ﷺ صار كلُّ قطر أو جماعة تأخذ بقراءة معلِّم من الصحابة ، لذا حصل اختلاف بين الأقطار ، وكذا بين الطلاب عند اجتماعهم ، مما هال الغيور منهم ، ففزعوا من ذلك فزعاً شديداً ، مما جعل عثمان رضي الله تعالى عنه يستشير الصحابة رضي الله عنهم في جمع المسلمين على حرف واحد ؛ لزوال المشقة ، فاتفقوا على ذلك .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قدم على عثمان رضي الله عنه ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ؛ أدرك هذه الأمةَ قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة ـ رضي الله عنهما : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ـ رضي الله عنهما ـ فأمر زيدَ بن ثابت ، وعبدَ الله بن الزبير ، وسعيدَ بن العاص ، وعبد الرحمٰن ابن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف .

---

(١) انظر الأزهار المتناثرة (٢٦) ونظم المتناثر (١١١ – ١١٢) وقطف الأزهار (١٦٣) وإتحاف ذوي الفضائل (١٢١ – ١٢٢).

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا .

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ؛ رد عثمان الصحف إلى حفصة رضي الله عنها ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

قال زيد رضي الله عنه : فقدت آية من الأحزاب ، حين نسخنا المصحف ، فقد كنت [كثيراً] أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها ، فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري [رضي الله عنه ، الذي جعل رسول الله ﷺ شهادتَه شهادة رجلين] ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ... ﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف . رواه البخاري[1] في عدد من الأبواب .

وفي هذا النص الشريف أمور :

١ ـ لم يكن القرآن الكريم مكتوباً في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ في موضع واحد ، وإنما كان مكتوباً في العسب والظهور والصحف والكرب والرقاع ،... وكل واحد كتب حسب الحرف الذي يقرأ به ، مما سمعه من رسول الله ﷺ . وقد جُمع على هذا الشكل في صحف ، كل سورة على حده ، وحسب الحروف التي يقرأ بها ، وسمعوها في زمن أبي بكر رضي الله عنه .

٢ـ إن سبب فزع عثمان رضي الله عنه لجمع القرآن في مصحف واحد ، وعلى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب جمع القرآن . والنص الأخير: رواه البخاري : كتاب الجهاد : باب قول الله عز وجل : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ... ﴾ ، وكتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ ، وكتاب المغازي : باب غزوة أحد .

حرف واحد : هو اختلاف الناس في ذلك ، حتى وصل الأمر في بعضهم إلى التكفير .
ومرجع ذلك الأمر بجمع القرآن إلى أمرين :

أ ـ ما جاء في حديث حذيفة بن اليمان [كاتم سر رسول الله ﷺ] رضي الله عنه من اختلاف أهل الأمصار في القراءة ، حتى كادوا يُفتنوا . مما حمل حذيفة رضي الله عنه إلى الذهاب إلى المدينة ، ومقابلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، والطلب منه إدراك الناس قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى ، فسارع عثمان رضي الله عنه إلى ذلك .

ب ـ ما حصل في المدينة المنورة نفسها من اختلاف المعلِّمين .

فعن أبي قلابة رحمه الله تعالى قال : لما كان في خلافة عثمان جعل المعلِّمُ يعلِّم قراءةَ الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك إلى المعلِّمين ـ حتى كَفَر بعضُهم بقراءة بعض [أي خطَّأ بعضُهم بعضاً في قراءته] فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً ، فقال : أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون ، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً . اجتمعوا يا أصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماماً . كما رواه ابن أبي داود[1] رحمهما الله تعالى من طرق متعددة وعن عدد من الرواة .

فعثمان رضي الله عنه لما رأى اختلاف المعلِّمين هاله ذلك ، فلما جاءه حذيفةُ رضي الله عنه وأعلمه باختلاف أهل الأمصار ؛ تحقق عنده ما ظنه من ذلك .
وكان ذلك بعد مضي سنة تقريباً من خلافته ، في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة النبوية الشريفة[2] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر المصاحف (٢٨ – ٣٣).

(٢) انظر : فتح الباري (٩ : ١٧).

٣ ـ لما أخبر حذيفةُ عثمانَ رضي الله عنهما ما رآه وسمعه في غزوه . وسمع عثمان رضي الله عنه ما حصل من اختلاف المعلِّمين في المدينة ؛ جمع الصحابةَ الموجودين في المدينة واستشارهم على جمع قراءات الناس على مصحف واحد ، ويكون على العرضة الأخيرة ؛ التي عارض جبريل عليه السلام رسولَ الله ﷺ ، في آخر رمضان من حياته ﷺ ، فوافقوا .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أيها الناس ؛ لا تغلوا في عثمان ، ولا تقولوا له إلا خيراً ، في المصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً . قال : ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول : إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفراً .

قلنا : فما ترى ؟

قال : نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ، ولا يكون اختلاف .

قلنا : فنِعْم ما رأيتَ .

قال : أي الناس أفصح ، وأي الناس أقرأ ؟

قالوا : أفصح الناس سعيد بن العاص . وأقرؤهم زيد بن ثابت .

فقال : ليكتب أحدهما ، ويُملي الآخر . ففعلا ، وجمع الناس على مصحف واحد .

قال علي رضي الله عنه : والله لو وُلِّيت لفعلتُ مثلَ الذي فعل . رواه ابن أبي داود في كتابه المصاحف ، بإسناد صحيح ، كما قال الحافظ في فتح الباري ، والسيوطي في الإتقان[1].

---

(١) المصاحف (٢٩ - ٣٠) وفتح الباري (٩ : ١٨) والإتقان (١ : ٥٩).

٤ ـ لما اجتمع رأي الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم جميعاً على ما اقترحه عثمان رضي الله عنه رشحوا لذلك لجنةً . فكانت في الأول : سعيد ابن العاص رضي الله عنه ـ لأنه كان أشبهَهَم لهجةً برسول الله ﷺ ـ وزيدَ بن ثابت رضي الله عنه ـ لأنه كاتب الوحي ، وأكثرهم له كتابة في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وكاتبُ الصحف الموجودة عند حفصة رضي الله عنها ، والتي كتبها في زمن أبي بكر رضي الله عنه ـ ثم ضُم إليهما : عبدُ الله بن الزبير ، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم ، ثم ضُم إليهم آخرون ، حتى بلغ العدد اثني عشر رجلاً ، منهم أبي بن كعب ، وأنس بن مالك ، وعبد الله ابن عباس ، وكثير بن أفلح ، ومالك بن أبي عامر ، رضي الله عنهم[1].

٥ ـ أما الاختلاف بين الجمعين : فقد قال ابن التين وغيره رحمهم الله تعالى : إن جمع أبي بكر رضي الله عنه كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته ، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره ، على ما وقفهم عليه النبي المصطفى الكريم ﷺ .

وجمع عثمان رضي الله عنه كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن ، حيث قرؤوه بلغاتهم ـ على اتساع اللغات ـ فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض ، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد ، مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش ، محتجاً بأنه نزل بلغتهم ـ وإن كان قد وسّع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر ـ فرأى أن الحاجة إلى ذلك انتهت ، فاقتصر على لغة واحدة ، وكانت لغة قريش

---

(١) انظر : المصاحف (٣٣ ، ٣٤) وفتح الباري (٩ : ١٩).

أرجح اللغات ، فاقتصر عليها.اهـ. من الفتح[1].

٦ ـ فلو كان القرآن مكتوباً في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ في لوح واحد لما احتاجوا لجمعه في المرتين ، فلما جمعوه أولاً في صحف ـ خشية الضياع ـ دل على عدم كتابته أولاً ، ولما جمعوه ثانية على حرف واحد دل على عدم كتابته أيضاً بحرف واحد ، وكل ذلك دال على أن النبي المصطفى الكريم ﷺ لم يكن يكتب ، والله تعالى أعلم .

الثاني والثلاثون :

ومما يدل على أن النبي المصطفى الكريم ﷺ كان أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، وأن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين كانوا يكتبون له رسائله وكتبه وإقطاعاته ،... كما كانوا يكتبون له الوحي ، أن جميع ما عثر عليه من الكتب إنما هي بخطوط الصحابة رضي الله عنهم ، فلو كان ﷺ كتب شيئاً ـ ولو على سبيل المعجزة ـ لعثر على نص واحد على الأقل بخطه الشريف ، فلما لم نعثر إلا على خطوط أصحابه رضي الله عنهم دل على عدم مباشرته ﷺ للكتابة .

وإذا علمنا مدى حرص المسلمين ـ على مر العصور سواء على مستوى الأفراد أو الحكومات ـ بالمحافظة على كل ما تركه ﷺ ، أو مما له صلة به ، سواء من لباس أو سلاح أو شعر ،... بل محافظتهم على آثار الصحابة رضي الله عنهم ، سواء من أسلحة أو مصاحف ،... كل ذلك يدل على مدى العناية الشديدة بما أثر عن سلف الأمة ، فإذا كانت هذه العناية الشديدة بما أثر عن الصحابة رضي الله عنهم أو عنه ﷺ والمحافظة عليها ، فكيف لو كان باشر الكتابة بيده الشريفة ،

---

(١) فتح الباري (٩ : ٢١) والإتقان (١ : ٥٩ – ٦٠).

فلو كان شيء من ذلك لحرص المسلمون على تلك الأوراق أشد الحرص ، وكيف لا وقد مستها يده الشريفة ﷺ ، ومع هذا لم نعثر على شيء من ذلك البتة . مما يدل على أنه لم يترك شيئاً من ذلك ، لا لأنه كتب ففقد ، بل لأنه لم يكتب .

ولو نظرنا إلى كتاب (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) سواء ما عثر على أصل المخطوط أو ما نقلت صورته : لا نجد شيئاً منها بخطه ﷺ ، إنما هي خطوط أصحابه رضي الله عنهم ، مع أنها كتب كثيرة جداً[1]، والله تعالى أعلم .

الثالث والثلاثون :

إن مما اتفق عليه علماء الشريعة ـ على اختلاف مناهجهم ـ أن تفسير الآيات القرآنية الكريمة يجب أن يكون على حسب مقتضى اللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها ، وحسب مدلولات تلك اللغة ، كما يجب أن تفسر الآيات القرآنية الكريمة على ظاهر ما يفهم منها ، إلا أن يقوم دليل صحيح صريح على أن المراد غير ذلك . وقد أوضح الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ذلك أيما إيضاح في كتابه (الرسالة).

فلا يصح أن تفسر الآيات القرآنية بمدلولات لغة أخرى ، مهما كانت تلك اللغة ، كما هو الحال في اللغات الأخرى لا يرضى أهلها أن تفسر بمدلولات اللغة العربية ، إنما حسب مدلولاتها هي .

وإذا اختلف في الكلمة معناها اللغوي الذي وُضع لها في لسان العرب ، وما اعتاد الناس عليه بعد القرون المتطاولة ، لا يصح أن يُؤخذ بالعادة المحدثة ،

---

(١) انظر : مجموعة الوثائق السياسية (٣٦ – ٢٨٧).

ويترك المعنى اللغوي الذي وضع في لسان العرب .

ذلك لأن كثيراً من العادات والتقاليد ،... دخلت على المسلمين من غيرهم ، وتواطؤوا عليها ، وهي ليست من أصول حياتهم الأولى ، ولا من مشاربهم الأساسية ، ولا من أحوالهم الأصلية ، ولا هي منبعثة من معتقداتهم الشرعية ، ولا من أصولهم المحمودة ،... إنما سرت إليهم حبّاً في النزوع إلى التقليد الأعمى للأمم الأخرى ، وحبّاً في التجدد والانتقال ، وتقليداً للقوي ، وبغضاً لكل قديم مهما كان صالحاً ، ومهما كان له من الآثار الحسنة ، ورغبة في الظهور بمظهر المتحضر الجديد ،... وكل ذلك دلالة على الانهزامية في نفوس المسلمين ، وضعف في تمسكهم وانتمائهم ، والانبهار ببريق المستورد الجديد .

فكم من عادة دخلت على المسلمين في الطعام والشراب واللباس ،... والمسكن والأثاث ،... وفي التعامل بين المسلمين ،... وفي السلم والحرب ،... وفي البيع والشراء ،... وفي العقود والمعاملات ،... وفي العلاقات الأسرية ،... وبين الأقارب ،... بل حتى في اللغة والتخاطب ،... أخذها المسلمون من غيرهم اتباعاً وتقليداً .

ويدل على الشدة في هذا الاتباع والتقليد قوله ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جُحْر ضبٍّ لتبعتموهم » قالوا : يا رسول الله ؛ آليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ». متفق عليه[1].

والتمثيل بجحر الضَّبِّ والشبر والذراع : دلالةٌ على شدة الاتباع والتقليد ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قوله ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم ». وصحيح مسلم : كتاب العلم : باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، رقم (٦) وكلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فكيف يؤخذ بها أخذ عن اليهود والنصارى ؟

والحقائق ـ كما هو معلوم عند أهل العلم ـ ثلاثة : حقيقة لغوية ، وحقيقة شرعية ، وحقيقة عرفية . وأقواهن الحقيقة الشرعية ، لأن الشارع أخرج اللفظ عن دلالته التي تعورف عليها ، وجعل لها دلالة أخرى حسب مقتضيات وعلوم الشرع ، كالزكاة مثلاً في اللغة أصلها النماء ، وأما في اصطلاح الشرع فلها معنى آخر . والصلاة في اللغة معناها الدعاء ، وفي اصطلاح الشرع لها معنى آخر ، لكن الحقيقة الشرعية مرتبطة بالحقيقة اللغوية .

فإذا تعارضت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية تقدم الحقيقة الشرعية . فالصلاة في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1] يكون قيامه حسب المصطلح الشرعي ، وهي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، على هيئة مخصوصة ،... وهكذا يقال في كل حقيقة شرعية .

وإذا اختلفت الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية تقدم الحقيقة اللغوية ، مثل التنور في قوله تعالى : ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾[2] فهو في حقيقته اللغوية : وجه الأرض ، أما في العرف فهو الذي يخبز به الخبز . ويدل على الحقيقة اللغوية قوله تعالى في سورة هود ـ بعدها بعدة آيات ـ : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾[3] وقوله سبحانه وتعالى في سورة القمر : ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾[4] وإن كان يستأنس بالحقيقة العرفية .

---

(١) سورة البقرة (٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠) وفي سور متعددة .

(٢) سورة هود (٤٠) وسورة المؤمنون (٢٧).

(٣) سورة هود (٤٤).

(٤) سورة القمر (١١ – ١٢).

هذا إذا تعارضت الحقائق فيما بينها ، فكيف إذا التقت الحقائق الثلاث : اللغوية والشرعية والعرفية على معنى واحد ؟

فالأُمِّيُّ في اللغة ـ كما مرت أقوال أساطين اللغة في المبحث الثاني من الفصل الأول ـ متفقون على أن الأُمِّيَّ : هو الذي لا يقرأ ولا يكتب . وفي الاصطلاح وهو الحقيقة الشرعية ـ وقد مرت أقوال العلماء من محدثين ومفسرين ،... وغيرهم ـ على أنه الذي لا يقرأ ولا يكتب . وهو كذلك في العرف السليم الذي لم يتأثر بما وراء الحدود . هو الذي لا يقرأ ولا يكتب . وليس له معنى آخر ، فقد اتفقت الحقائق الثلاث على هذا المعنى ، والله تعالى أعلم .

وهكذا يكون قد اتفقت الحقائق الثلاث على أنه ﷺ أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، والله تعالى أعلم . فما عسى أن يقول المغرضون !!!

الرابع والثلاثون :

لقد كان العرب يتناقلون أشعارهم وأخبارهم وأيامهم ،... وحروبهم ومناقبهم : حفظاً ، ينقلها الكبار للصغار ، ويحفظها الصغار كما حفظها الكبار ، وكانوا لا يكتبون شيئاً من ذلك ، لأنه لم يكن عندهم كتابة ، وإنما ظهرت الكتابة فيهم قبيل ولادته ﷺ أو بعدها بقليل .

قال الإمامُ الشعبي رحمه الله تعالى : أول العرب كتب بالعربية حرب ابن أمية ابن عبد شمس ؛ أبو أبي سفيان . قيل له : ممن تعلمت ؟ قال : من أهل الحيرة . وقيل : ممن تعلم أهل الحيرة ؟ قال : من أهل الأنبار[1].اهـ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٩٠) والمزهر (٢ : ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٣٤٩) والوسائل في مسامرة الأوائل (١١٣ رقم ٨٣٣) وعزاه لابن سعد أيضاً .

وذلك أن بشر بن عبد الملك أخا أُكيدر تعلَّم الخط من الأنبار ، ثم قدم مكة ، فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان [صخر] فعلَّم بشرُ حرباً وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حرب بن أمية ، كما تعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب .

وقيل : إن أول من تعلمه من الأنبار قومٌ من طيء من قرية هناك ، يقال لها : بقة ، ثم هذبوه ، ونشروه في جزيرة العرب ، فتعلمه الناس .

وقال الإمام الشعبي رحمه الله تعالى : سألتُ المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار[1].اهـ.

وقد سبق ذكر أن أول من تعلم : هم أهلُ الطائف ، تعلموه من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار[2].

فلم يكن عند العرب في عصر البعثة وما قبلها إلا الحفظ ، ولم يكن عندهم الكتابة . لهذا قال الله سبحانه وتعالى ـ ممتناً على نبيه وصفيه ﷺ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[3] فلم يذكر المولى تعالى سوى القراءة والحفظ ، والقراءة هي إلقاء وتلاوة وإملاء جبريل عليه السلام على النبي المصطفى ﷺ ، فما ينصرف عنه الوحي حتى يقع ما أنزل عليه ثابتاً راسخاً في قلبه الشريف لا ينساه . ولو كان النبي المصطفى الكريم ﷺ يعلم الكتابة لذكرها ، لأن عِلمَها مرده إلى الله تعالى . إنما ذكر الحفظ . وهذا واضح من حديثه ﷺ .

---

(١) انظر : المصاحف (٩ – ١٠) وفضائل القرآن لابن كثير (١٥) والاشتقاق (٣٧٢) لكن فيه (الضياء) وانظر : المتفق والمفترق (١ : ٥٧٣) ففيه زيادة وبعض اختلاف .

(٢) انظر صفحة (٥٢).

(٣) سورة الأعلى (٦).

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أحياناً يأتيني مثلَ صلصلة الجرس - وهو أشده عليَّ - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . وأحياناً يتمثل لي الملَك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ». متفق عليه[1].

فيلاحظ أنه ﷺ كيف عبر بالماضي « وقد وعيتُ » في الحالة الأولى . لأنه حصل قبل الفصم . بينما عبر بالمضارع « فأعي » في الحالة الثانية ، لأنه يحصل أثناء المكالمة . وهناك تأويلات أخرى ، والله تعالى أعلم .

فلما كان النبي المصطفى الكريم ﷺ أُمِّيّاً كسائر العرب - أو عامتهم - لذا كان اعتماده على الحفظ ، الذي امتن الله سبحانه وتعالى به عليه . ثم إنه تعالى تكفل له أيضاً بحفظ كتابه الكريم كما قال جل شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2] من كل شيء ، من التبديل والتغيير والزيادة والطمس ،...إلخ.

لكن النبي المصطفى الكريم ﷺ أمر الصحابة رضي الله عنهم بكتابة القرآن الكريم بين يديه ؛ خشية الاختلاف فيه ، لأن حفظ الإنسان قد يخون ، فينتقل بالمعنى ، وهذا هو الموجود عند العرب ، في رواياتهم لأخبارهم وحوادثهم ،... حيث إن الخطيب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها ، فإنه يزيد فيها وينقص ،... ولما كان القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل بلفظه ومعناه ، ويجب نقله بلفظه ، ولا يجوز بالمعنى ، لذا حث ﷺ على حفظه كتابةً ، وحفظاً عن ظهر قلب . ليشترك في حفظه الصدر والكتاب ، زيادةً في المحافظة عليه ، وتعظيمه ،... بخلاف كلام غيره ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوحي : الباب الثاني . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي ، رقم (٨٧).

(٢) سورة الحجر (٩).

الخامس والثلاثون :

إن وصف (الأُمِّي) لرسول الله ﷺ هو وصف مدح وإطراء ومحمدة ، بل هو أجل الأوصاف ، وأدلها على حقيقته ،... وليس هو وصف ذم . كما قد يخطر على بال بعض الناس ، فهو :

ـ وإن كان موافقاً لوصفه الذي ذكره الله تعالى ، وأمر الناس جميعاً أن يؤمنوا به ، مع ما ذكره تعالى من وصفه ﷺ أنه أُمِّيٌّ ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ﴾(1) .

ـ وإن كان موافقاً لوصفه الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في الكتب السماوية السابقة ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾(2) .

ـ وإن كان موافقاً لما هو عند الأنبياء والرسل عليه وعليهم السلام ، نطقوا أو سينطقون به يوم العرض .

ـ وإن كان موافقاً لما هو عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ونطق به أحبارُهم ورهبانهم ـ سواء قبل عصره ﷺ أو في زمانه ـ وهم يعلمونه ، ويطبِّقونه ،...

ـ وإن كان مشاكلاً لأحوال من هو بين أظهرهم ، وهو أقرب إلى موافقتهم ،... ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ ﴾(3) .

ـ فإنه بهذا الوصف تكمن المعجزة الخارقة ، وتتضح قوتها . لأنه الرجل الأُمِّيُّ ـ بأبي هو وأمي ـ ﷺ ، الذي ذكره الله تعالى ، والذي لم يتفق له مطالعة كتاب ، ولا مصاحبة معلِّم ،... ومع هذا فقد واجه البلغاء والفصحاء والعلماء ،... بما أعجزهم ، كما واجه الكون كله ، وإلى يومنا هذا ، وإلى ما شاء الله تعالى بهذا

---

(1) سورة الأعراف (١٥٨).

(2) سورة الأعراف (١٥٧).

(3) سورة الجمعة (٢).

الكتاب الكريم ، والذي فيه خبر من سبقنا ، ونبأ من بعدنا ، والذي هو الفصل ليس بالهزل ، والذي فيه من الدلائل التي لا يمكن أن تكون من عامي ، والذي فيه من دلالات العلوم وأصول الفهوم ؛ التي لا يمكن أن تكون من عامي ، والذي حيَّر بأسلوبه ورصفه وبلاغته ومبانيه ومعانيه ،... أساطين العلماء على مر الزمان ، التي لا يمكن أن تكون من عامي ،... كل هذا وغيره كثير جاء للدلالة على أن هذا القرآن الكريم ليس من صنع البشر ، إنما هو كلام خالق البشر ، جاء تنبيهاً على أن كمال علمه ﷺ ـ مع كونه أُمِّيّاً ـ إحدى معجزاته ، آتاه الله تعالى بهذا الوحي علومَ الأولين والآخرين ، مما لم يصل إليه أحد من العالمين ، مع أنه أُمِّيٌّ ؛ لا يخط ولا يقرأ ، فالجمع بينهما ـ أعني تلك العلوم وأعني أنه أُمِّيٌّ ـ من الأمور الخارقة للعادة ، إنما هو التأييد السماوي .

ولهذا عمَّم ﷺ ذلك بالنسبة إليه ، وبيَّن ميزته على سائر الأنبياء عليهم السلام ، فقال ﷺ ـ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ». متفق عليه[1].

فالذي اختص به عليه وآله الصلاة والسلام إنما هو الوحي ، وقد كثر إخبار الله تعالى عنه ﷺ بأنه إنما يتبع الوحي ، وبه أُمر . فقال جل شأنه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[2] ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[3] ولذا طلب الله تعالى منه ﷺ أن ينذرهم

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كيف نزل الوحي . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، رقم (٢٣٩).

(٢) سورة الأعراف (٢٠٣).

(٣) سورة الأنعام (٥٠) وسورة يونس (١٥) وسورة الأحقاف (٩).

بالوحي ، كما قال جل شأنه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ﴾[1] .

فسلبُ صفة الأُمِّيَّة عنه ﷺ سلبٌ لأهم خصائصه الباهرة ، ونفيٌ لأهم أوصافه المذكورة عند الآخرين ، والله تعالى أعلم .

السادس والثلاثون :

من الأخطاء الشائعة التي انتشرت في أوساط كثير من الناس في العصر الحاضر ـ حتى بين المثقفين مع الأسف ـ جَعلُ كلمة (الجهالة) ترادف كلمة (الأُمِّيَّة) وهذا خطأ مشين تناقله الناطقون باللغة العربية من غير تمحيص . تبعاً للمستشرقين والمستغربين من اليهود والنصارى ، حيث ترجموا كلمة (أُمِّي) بمعنى (جاهل) ورسخ هذا المعنى في الأذهان ، وتعارف عليه الناس في أوساطهم ، وزاده رسوخاً وسائلُ الإعلام وغيرها .

وهذا خطأ فادح ومشين ، إذ هناك فرق كبير بين مدلولي (جاهل) و (أُمِّي) ولا تلازم بينهما ، لأن الأُمِّيَّة ـ كما قلت سابقاً ـ تقابل القراءة والكتابة ، فالأُمِّيُّ : هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، أما الجهالة : فهي التي تقابل العلم . فالجاهل هو الذي لا يعلم .

إن مصادر العلم مختلفة متعددة ، وليس هو القراءة والكتابة فحسب ، فمن مصادره السماع ، ومن مصادره الرؤية والمشاهدة ، ومن مصادره الفهم والإدراك ، ومن مصادره الحس والتجربة ،...

لذا قد يكون العالِمُ أُمِّيّاً ، وقد يكون قارئاً كاتباً ، كما قد يكون الجاهل أُمِّيّاً ، وقد يكون قارئاً كاتباً ، لأنه لا تلازم بينهما كما قلت .

---

(١) سورة الأنبياء (٤٥).

كم من عالم بليغ حافظ متقن ،... وشاعر أديب ،... وخبير في أمور معينة ،... وهو لا يعرف القراءة والكتابة ، وأمثال هؤلاء كثر ، فهل يقال عنهم : (جهال) لأنهم لا يعرفون القراءة والكتابة !!؟ . لا .

كم جلسنا مع أناس يسردون علينا قصص الماضين ، ويحلِّلون لنا الأخبار ، ويقرؤون ما بين السطور ، ويشرحون كثيراً من الأمور ، ويوقفون السامعين على غوامض وخفايا ، ويبينون حقائق مذهلة ،... سواء في العلم ، أو السياسة ، أو الاقتصاد ، أو الأدب ، أو الشعر ، أو الاجتماع ،... وهم مع هذا لا يعرفون القراءة والكتابة .

إن كثيراً من المحدِّثين الكبار ، والحفاظ النقاد ، والفقهاء ، والشعراء الكبار ، والأدباء والنحاة ، والمؤرخين والفلاسفة ، و... كانوا عمياناً ، فمن أين نالوا تلك العلوم والمعارف وهم لا يعرفون القراءة والكتابة ، فهل يقال عنهم : (جهال) !!؟ لا .

فالخطأ الذي وقع ويقع فيه كثير من الناس : هو التلازم ، حيث يتصورون أن كل أُمِّيٍّ جاهلٌ ، وأن كلَّ جاهل هو أُمِّيٌّ . ولهذا طردوا هذه القاعدة ـ الخطأ ـ وعمّموها . مع أنه خطأ ، يرده الواقع والحس ، والمشاهدة والخبر .

وكذا من يريد نفيَ الأُمِّيَّة عن العرب قبل الإسلام ، فهو كمن يريد أن يغطي الشمس بغربال ، حيث ينفي الحقيقة والواقع ، ولكن ليس معنى ذلك أن تتهمهم بالجهالة لغلبة الأُمِّيّة عليهم ، إذ فيهم الشعراء والبلغاء والرواة والفصحاء والخطباء والساسة والقادة ومخططوا الحروب وحافظوا الأنساب ،... وكل واحد من هؤلاء عالم في فنه وتخصصه ، وإن كان لا يقرأ ولا يكتب .

لذا فنفي الأُمِّيَّة عن رسول الله ﷺ ـ نتيجة هذا التصور الخاطئ ، خشية أن

يوصف ـ بأبي هو وأمي ـ بالجهل : خطأٌ ، ونفيٌ لأهم صفاته التي تدل على عظم معجزته ، وقوتها ، لأن صفة الأُمِّيّة له ﷺ هي صفة مدح ، لا صفة ذم ، إذ لو كانت صفة ذم ـ حاشاه ـ لما جعلها الله عز وجل صفةً ثابتة له في الكتب السماوية السابقة ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[1] ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾[2] حيث جعلها المولى تعالى صفة لازمة له ﷺ .

لذا فمن نفاها عنه ﷺ فقد نفى عنه صفةً مدحه الله عز وجل بها ، وجعلها دلالة على معجزته ، وبرهاناً على صدقه ، وعنواناً على رسالته ﷺ ، والله تعالى أعلم .

هذا ما حضرني الآن ، وأعتقد وجود أدلة أخرى كثيرة ، تضاف إلى ما ذكرت . ولكن أرجو أن يكون فيما كتبت مقنعاً ، ووضع النقاط على الحروف ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[3] .

وصلى الله تعالى وسلَّم على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد ، وعلى آله الطيبين وصحبه الكرام المخبتين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) سورة الأعراف (١٥٨).

(٣) سورة هود (٨٨).

الخاتمة، أحسن الله ختامنا جميعاً

قبل إنهاء هذه الرسالة أحب أن أذكر بعض الأمور ؛ التي تكون بمثابة الملخص لما حوته هذه الرسالة ، ولو كان بشكل مختصر :

١ ـ لقد أمر الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ أن يخبر الناس جميعاً أنه رسولٌ إليهم ، وأمر الله تعالى جميع الناس أن يؤمنوا به وبرسوله الكريم ﷺ ، وذكر تعالى أن هذا الرسول النبي المصطفى الكريم ﷺ هو أُمِّيٌّ ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾[1].

٢ ـ لقد أخبرنا الله تعالى أن نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ ما كان يقرأ ولا يخط بيمينه ، لأنه أُمِّيٌّ ، وكما كان في الماضي ؛ فهو لا يقدر على ذلك في الحاضر والمستقبل ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2].

٣ ـ لقد أخبرنا الله تعالى أن جعل صفات نبيِّه الكريم ﷺ موجودة في الكتب السماوية السابقة ، حتى إذا جاءهم عليه وآله الصلاة والسلام عرفوه بها ، ولا تبقى لهم حجة في الإنكار ، ومن جملة تلك الأوصاف : أنه رسولٌ نبيٌّ أُمِّيٌّ ، فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ... ﴾.

---

(١) سورة الأعراف (١٥٨).

(٢) سورة العنكبوت (٤٨).

٤ ـ لقد أخبرنا الله تعالى أنه أرسل رسولَه المصطفى الكريم ﷺ في أمَّةٍ أُمِّيَّة ، وأنه ﷺ منهم ، فقال تعالى عنه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[1] فناسب أن يكون منهم ، ويتصف بوصفهم ، لذا فهو أُمِّيٌّ مثلهم ، فقال جل شأنه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ... ﴾.

٥ ـ لقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن نفسه الشريفة أنه نبيٌّ أمِّيٌّ ، فقال ﷺ : « إذا أنتم صليتم عليَّ فقولوا : اللهم صلِّ على محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آل محمد ،... ». الحديث بطوله .

وقال ﷺ أيضاً : « أنا محمد النبي الأمي ـ ثلاثاً ـ لا نبي بعدي ،... » الحديث بطوله ، وقد مر ذكرهما وتخريجهما من قبل .

٦ ـ كما أخبرنا رسول الله ﷺ أنه بُعث في أُمَّة أُمِّيَّة ، وفسر لنا ﷺ معنى الأُمِّي ، وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، فقال ﷺ : « إنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ، لا نكتب ولا نحسب ،... ». الحديث ، متفق عليه .

٧ ـ بناء على وجود أوصافه ﷺ في الكتب السماوية السابقة ، فإن أول من علم بذلك هو الرسل السابقون عليهم السلام ، ولهذا أخبر كبار الرسل عليه وعليهم السلام بأنه ﷺ نبيٌّ أُمِّيٌّ ، وقد سبق ذكرُ قول موسى وعيسى عليهم السلام .

٨ ـ إخبار الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ نبيٌّ أُمِّيٌّ ، لا يقرأ ولا يكتب ، وهم ألصق الناس به ، وأعرف الناس بأحواله ﷺ ، ولو كانوا يعلمون خلاف ذلك ـ ولو كان على سبيل المعجزة ، ولو مرة واحدة لذكروه ـ ولكن هيهات .

---

(١) سورة التوبة (١٢٨).

٩ ـ لقد أخبر الأحبار والرهبان ـ من اليهود والنصارى ـ أنه ﷺ نبيٌّ رسولٌ أُمِّيٌّ ، وقد سبق ذكر أقوالهم من قبل ، لأنهم ما نطقوا بذلك إلا على حسب ما عرفوه من أوصافه ﷺ . في الكتب التي هي عندهم .

١٠ ـ انتشار خبر وصفه ﷺ بأنه أُمِّيٌّ في الأمم السابقة ، وانتقال ذلك إلى كل من عنده اطلاع عليها ، حتى صار ذلك علامة مميزة له ﷺ ، ولهذا نطق به ابنُ صيّاد ، وأخبر به الدجال ، كما مر ذكر ذلك ، وهو في الصحيحين أو أحدهما .

١١ ـ لقد أجمع علماء الأمة ـ على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم ـ على أنه ﷺ رسولٌ نبيٌّ أُمِّيٌّ ، وقد سبق ذكر ذلك أيضاً .

١٢ ـ لقد اتفقت كلمة علماء النحو والغريب والتفسير والحديث والشراح ،... على أن الأُمِّيَّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وقد سبق ذكر كثير من تلك الأقوال .

١٣ ـ إن كل لغة يجب أن تفسر حسب مرادفات لغتها ، ولا تُؤخذ من مفردات لغة غيرها ، فلا نفسر كلمة عربية بمفردات كلمة لاتينية ، ولا كلمة فرنسية بمفردات اللغة العربية ، لأن لكل لغة مشتقاتها ومبانيها ومدلولاتها .

١٤ ـ لا تعرف العرب في لغتهم الأُمِّيَّ إلا للذي لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا صريح من مختلف المعاجم العربية .

١٥ ـ من المعلوم ـ ضرورة ، أن رسول الله ﷺ هو أعربُ العرب ، وأبلغهم وأفصحهم ، وقد فسَّر الأُمِّيَّ بأنه الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا بناء على ما هو موجود عندهم ، وفي لغتهم ، وواقعهم ، لذا لا يصح العنود عنه إلا لدليل أقوى منه ، ولا وجود له .

١٦ ـ إن إخبار الله تعالى عن وصف نبيِّه الكريم ﷺ بأنه أمِّيٌّ جاء في سور

مكية ومدنية ، مما يدل على أن هذا الوصف بقي ملازماً للنبي المصطفى الكريم ﷺ طيلة حياته ، وليس هو في مرحلة من حياته ﷺ .

١٧ ـ إن الإنسان لا يوصف بصفة إلا إذا كانت هذه الصفة ملازمة له ، ودائمة متصلة به ، وبوقت وصفه بها ، لا أن يوصف بما كان فيه ثم زال عنه ، فلا يقال للإنسان إنه أُمِّيٌّ باعتبار ما كان في حال صغره ـ لأن الناس كلهم كانوا كذلك في حال صغرهم ـ إنما يقال لمن من استمر أُمِّيّاً ، لا يقرأ ولا يكتب ، أو في وقت وصفه بذلك .

والنبي المصطفى الكريم ﷺ حين وصفه الله تعالى بذلك كان وما زال هو كذلك ، في أول حياته وفي آخر حياته ﷺ ، لم يتعلَّم القراءةَ والكتابةَ ، ليتم القدر الإلهي ، مع ما كان وقد جعله وصفاً له في الكتب القديمة ، والله تعالى أعلم .

١٨ ـ لو كان رسول الله ﷺ عارفاً بالقراءة والكتابة ، لأنكر أهلُ الكتاب أن يكون هو الرسول المبشَّر به ، في كتبهم ، لأن وصفَ المبشَّر به عندهم أن يكون أُمِّيّاً ؛ لا يقرأ ولا يكتب ، لذا لما جاءهم رسول الله ﷺ على حسب ما هو موجود في كتبهم ، وطبَّقوا الوصف عليه ، ورأوه كما هو عندهم ؛ آمن من كتب الله تعالى له السعادة ، وكفر من كُتِبت عليه الشقاوة ـ حسداً وبغضاً ، كما بينته من قبل ـ ، والله تعالى أعلم .

١٩ ـ لقد كان لرسول الله ﷺ أعداء ومناوئون ؛ من كفار قريش ، ومن اليهود والمنافقين في المدينة ، ولم يرِد عن واحد منهم اتهام النبي المصطفى الكريم ﷺ بأنه على خلاف ما ذكر الله تعالى في القرآن الكريم ، وما جاء في التوراة والإنجيل ؛ من أن النبيَّ المذكور المبشَّر به أُمِّيٌّ .

٢٠ ـ إن من الخطأ المشين اعتبار الأُمِّيّة مرادفة للجهالة ، فليس الأُمِّيُّ هو الجاهل ، لأن الأُمِّيَّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، فهو مقابل القارئ الكاتب ، وأما الجاهل فهو غير المتعلِّم ، فهو مقابل العالِمِ ، لذا اختلفا ، لذا فمن الخطأ الخلط بينهما ، والله تعالى أعلم .

٢١ ـ إن وصف الأُمِّيَّة بالنسبة للنبي المصطفى الكريم ﷺ هو وصف تشريف ، لا وصف تنقيص ، لأنه لو كان وصفَ تنقيص ـ لا سمح الله ـ ما وصفه الله تعالى به ، وجعله علَماً عليه في كتابه ، وجعله وصفاً ثابتاً له في الكتب السماوية السابقة ، وأجراه على ألسنة رسله عليهم السلام ، وأشاعه عنه حتى عرفه به القدامى والمحْدَثون ، ونطق به الأحبار والرهبان على أنه وصفه الثابت له ، ولم يُعد الله تعالى من أوصافه ﷺ إلا هو ؛ عندما أمر الناس بالإيمان به ، كما مر في آيات سورة الأعراف[1].

٢٢ ـ بيان معجزة النبي المصطفى الكريم ﷺ بهذه الصفة ، لأن من أتى قومه بكتاب حوىٰ علماً واحداً ، وأتى به عن دراسة ؛ فإنه سيشار إليه ، فكيف بمن أتى العالَمين بهذا الكتاب ؛ الذي حوىٰ علوم الأولين والآخرين ، والدنيا والآخرة ، ومختلف العلوم التي ظهرت والتي لم تظهر ـ ونحن نعيش هذه الأزمنة بمكتشفاته ـ وهو أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب .

٢٣ ـ إن الحافظة مهما كانت قوية فإنها قد تكل وتضعف وتخطئ ، كحال الخطيب النادر إذا خطب خطبة ارتجالية ، ثم أعادها ، أو قرأ نصّاً طويلاً ، ثم أعاده ، فإنه سيروي بعضَ الكلمات بالمعنى ، وقد يقدِّم بعض الجمل على بعض .

---

(١) انظر الآيتين منها (١٥٧ – ١٥٨).

أما رسول الله ﷺ فقد كرّر هذا الكتاب الكريم ، ولم يحصل شيء من ذلك الخلل ، دلالة على حفظ الله تعالى لهذا الكتاب الكريم ، لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

لذا لا علاقة بين الأُمِّيَّة والعلم وبين حفظ هذا الكتاب الكريم ، والله تعالى أعلم .

ثم ما هو الحامل على إنكار أُمِّيَّة النبي المصطفى الكريم ﷺ ؟

ـ هل هو الغيرة على رسول الله ﷺ حتى لا يوصف بها ، فيظن الجاهل ـ نتيجة الفهم الخاطئ والنقل المغلوط ـ أنها ترادف الجهالة ؟ لا ، فنحن لا ننكر ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ لنقلٍ خاطئٍ وفهمٍ مغلوط .

ـ هل هو عدم القدرة على عدم التوفيق بين الأُمِّيَّة وبين ما في هذا الدين العظيم الذي أتى به رسول الله ﷺ ، بما حوىٰ من علوم وفهوم لا يعرفها كثير من البشرية ، وأن ذلك لا يتصور من أُمِّيٍّ ؟ لا ، فقد أخبرنا الله تعالى عن نبيه الكريم ﷺ أنه أُمِّيٌّ ، وفي ذلك تكمن معجزته ، فبدلاً من إنكارها يُرفع الرأس شموخاً بها ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا في زمرة نبيه الكريم ﷺ ، الذي أكرمه بذلك .

ـ هل هو الحقد والبغض ، وسلب أهم ميزة ، وأقعد معجزة لهذا النبي المصطفى الكريم ﷺ ؟

ـ إن صفات رسول الله ﷺ ذكرتها الكتب السماوية السابقة بالتفصيل والاستيعاب ، وذُكر كثير منها في القرآن الكريم ، وطبقها الأحبار والرهبان على

(١) سورة الحجر (٩).

رسول الله ﷺ لـمّا رأوه ، فوجدوها كما هي مذكورة في كتبهم ـ كما ذكرت في المقدمة ـ فآمن من أراد الله تعالى هدايته وسعادتَه ، ولم يؤمن من كُتبت عليه الشقاوة ـ حسداً وبغضاً ـ مع اعترافهم بأنه هو ، وأن الصفات المذكورة في كتبهم منطبقة عليه ﷺ تمام الانطباق ، كما ذكرت في المقدمة .

ـ لا يوجد في تاريخ البشرية من حُفظت سيرته وحياته وأيامه وصفاته وشمائله ،... حتى كأنّا رأي عين منه ، ما حصل لرسول الله ﷺ ، فنحن المتأخرين نعلم عن أحواله ﷺ ـ حتى الأمور التي تكون بينه وبين أهله في البيت ـ الشيء الكثير ، كما هو الحال عند المتقدمين ؛ كل ذلك من دقة ما نقله إلينا الصحابة رضي الله عنهم عنه ﷺ ،...

ـ إن صفات رسول الله ﷺ ـ ومنها أنه أُمِّيٌّ ؛ لا يقرأ ولا يكتب ـ يعرفها العدو كما يعرفها الصديق ، ويعرفها القالي كما يعرفها المحب ، ويعرفها البعيد كما يعرفها القريب ،... لأنها منتشرة ومعمَّمة ، فإنكارها ـ لقصور في الفهم ، أو عدم الإدراك ،... ـ يجعل عند العدو مستنداً ، وحجة للطعن ، والعياذ بالله تعالى .

ـ إن ديننا ـ ولله الحمد والمنة ـ ليس مخفيّاً ، بل هو واضح وضوح الشمس ، نُقل إلينا بكماله وتمامه ـ وليس فيه ما يُستحيا من ذكره ، أو ما يُعمل على ستره وإخفائه ، كما نُقل إلينا أحوال ناقليه ، فلا يمكن أن ننكر شيئاً منه .

إن المنكر لبعض الأحوال ، أو التنازل عن بعض حقائقه الثابتة ـ بحجة ألّا يدع للعدو منفذاً ـ : هذا من الانهزامية ، والشعور بالضعف والخور ، وقلة الالتزام ، وعدم المعرفة بهذا الدين العظيم ، كما يدل على عدم المعرفة بالديانات الأخرى ،

ومواطن الضعف فيها .

نحن لا ننكر شيئاً ثبت في كتاب الله تعالى أو في سنة رسول الله ﷺ ، ولكن علينا أن نعيد النظر في فهمنا ، وأن نصحح الخطأ فيه ، وفي صدق التأويل ، لأنه لا يوجد في ديننا ـ ولله الحمد والمنة ـ شيء مستحيل ، ولا ما يصعب العمل به ، أما ما يستغربه الإنسان فممكن ، كما هو في شرع من سبقنا ، ويلزم المسلم حينئذ التريث وعدم العجلة ، والبحث والتتبع ، وسؤال أهل العلم ؛ فإذا ثبت نظر في فهمه ، حتى يتضح له الحق ، ولا يسارع إلى الإنكار ، فليس هذا شأن العقلاء .

أسأله تعالى تمام التوفيق والهداية ، والتمسك بشرعه ، وبما جاء على لسان رسوله الكريم ﷺ ، ويرزقنا حسن الاتباع ، والأدب معه تعالى ومع رسوله الكريم ﷺ ، والصدق في القول ، والإخلاص في المعتقد والعمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

كما أسأله تعالى أن يجعل هذه الرسالةَ مقبولةً عنده ، وينفع بها من قرأها أو سمعها ، ويقيها وغيرَها من كتبي شرَّ الأشرار ، ويحفظها من كيد الكائدين ، وحسدِ الحاسدين ، ويدّخرها لي ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ويجعل ثوابي فيها مرافقةَ نبيِّه وصفيِّه المصطفى الكريم ﷺ في أعلى عِلِّيِّين ، ورضاه يوم العرض عليه ، مع والدَيّ وزوجي وأولادي وأشياخي وأحبابي وذريتي ومن يلوذ بي ، إنه القادر على ذلك ، وهو المأمول لا سواه .

كما أسأله تعالى أن يغفر لي كلَّ خطأ وزلل ، وعمد وسهو ، ويحفظني فيما بقي من عمري ؛ في ديني ونفسي وجسدي وأهلي وذريتي ، ومن يلوذ بي ، ويرزقنا

جميعاً حسن الختام ؛ من غير ابتلاء ولا محنة ، في بلد نبيه الكريم ﷺ ، ويجعل حشرنا منها مع أهلها ، ويجمعنا جميعاً مع أحبابنا ومشايخنا والمسلمين تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ ، في مقعد صدق عند مليك رحيم .

وصلى الله تعالى وسلّم على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

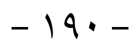
المفتقر إلى رحمة مولاه الكريم

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆



مصادر الرّسالة

ـ القرآن الكريم .
ـ إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة ، للشيخ عبد العزيز الغماري ، ط مع الأزهار .
ـ الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت .
ـ الأحاديث الطوال ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، مطبوع في آخر المعجم الكبير .
ـ أخبار أصبهان ، لأبي نعيم الأصبهاني ، نشر الدار العلمية ، الهند .
ـ أخلاق النبي ﷺ وآدابه ، لأبي الشيخ ، ت أحمد موسى ، القاهرة .
ـ إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ، للقسطلاني ، ط الميرية ، وبحاشيتها شرح صحيح مسلم للإمام النووي .
ـ الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للحافظ السيوطي ، نشر مطبعة دار التأليف ، القاهرة .
ـ الاستيعاب ، للحافظ ابن عبد البر ، بحاشية الإصابة .
ـ أسد الغابة ، لابن الأثير الجزري ، ط دار الفكر ، بيروت .
ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي ، ت خليل إبراهيم ملا خاطر ، وقد أعد للطبع .
ـ الاشتقاق ، لابن دريد ـ عبد السلام هٰرون ، مكتبة الخانجي ، مصر .
ـ الإصابة ، للحافظ ابن حجر ، ت البجاوي ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة .
ـ الإفصاح ، لابن هبيرة الحنبلي ، نشر المؤسسة السعيدية ، الرياض .
ـ البحر المحيط ، للإمام أبي حيان ، نشر مكتبة النصر ، الرياض .
ـ بصائر ذوي التمييز ، للفيروزأبادي ، ت الأستاذ محمد علي النجار ، تصوير المكتبة العلمية ، بيروت .
ـ تاج العروس ، للزبيدي ، دار مكتبة الحياة .
ـ تاريخ بغداد ، للإمام الخطيب البغدادي ، ط الخانجي ، مصر .
ـ تثبيت دلائل النبوة ، للقاضي عبد الجبار ، ت د. عبد الكريم عثمان ، الدار العربية ، بيروت .

- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ، للمباركفوري ، نشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
- تغليق التعليق ، للحافظ ابن حجر ، ت سعيد عبد الرحمٰن القزقي ، المكتب الإسلامي ودار عمار .
- تفسير البغوي ، ت خالد العك ، ومروان سوار ، نشر دار المعرفة ، بيروت .
- تفسير البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تفسير الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
- تفسير ابن أبي حاتم ، ت أسعد محمد الطيب ، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة .
- تفسير الرازي = التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي .
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ت عبد القادر عطا ، مكتبة الرياض ، الرياض .
- تفسير السمرقندي ، ت الشيخ محمد علي معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تفسير الطبري ، ط أحمد شاكر ، القاهرة ، دار المعارف ، ونسخة دار المعرفة .
- تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ت السيد أحمد صقر ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة .
- تفسير القرآن للسمعاني ، ت ياسر إبراهيم وغنيم عباس ، دار الوطن .
- تفسير القرآن ، للعز بن عبد السلام ، ت د. عبد الله الوهيبي ، نشر المحقق .
- تفسير القرطبي = جامع أحكام القرآن ، نشر دار الكتاب العربي ، القاهرة .
- تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت .
- تفسير الماوردي = النكت والعيون ، ت السيد بن عبد المقصود ، نشر مكتبة المؤيد ، الرياض .
- تفسير مبهمات القرآن ، للبلنسي ، ت د.عبد الله عبد الكريم محمد ، دار الغرب الإسلامي .
- تفسير الواحدي = الوسيط ، ت الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين ، دار الباز ، مكة المكرمة .
- تلخيص المستدرك للذهبي ، بحاشية المستدرك .
- تلقيح فهوم أهل الأثر ، لابن الجوزي ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة .
- تهذيب الكمال ، للحافظ المزي ، ت الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة .
- تهذيب اللغة ، للأزهري .

ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، لابن الأثير ، ت الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .
ـ الجامع الكبير ، للسيوطي (مخطوط).
ـ جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام ﷺ ، لابن القيم ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة .
ـ جمال القراء ، لعلم الدين السخاوي ، ت د. علي حسين البواب ، مكتبة التراث ، مكة المكرمة .
ـ حاشية السندي على النسائي ، بحاشية السيوطي على سنن النسائي .
ـ حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم ، نشر مكتبة الخانجي ، ومطبعة السعادة ، مصر .
ـ الدر المصون ، للسمين الحلبي ، ت د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .
ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر .
ـ دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت الدكتور عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية بيروت .
ـ دلائل النبوة ، لأبي نعيم ، ت د. محمد رواس القلعجي ، المطبعة العربية ، حلب .
ـ روح البيان ، لإسماعيل حقي ، تصوير بيروت .
ـ روح المعاني ، للآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ الروض الأنف ، للإمام السهيلي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة .
ـ زاد المسير ، لابن الجوزي ، ت د. محمد عبد الرحمٰن ، نشر دار الفكر ، بيروت .
ـ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، للأزهري ، ت د. محمد جبر الألفي ، وزارة الأوقاف ، الكويت .
ـ الزهد والرقائق ، للإمام عبد الله بن المبارك ، ت العلامة حبيب الرحمٰن الأعظمي .
ـ سبل الهدى والرشاد ، للإمام محمد بن يوسف الصالحي ، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، والطبعة الجديدة .
ـ السراج المنير شرح الجامع الصغير ، للعزيزي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ السنة النبوية وحي ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين ، تصوير المكتبة الإسلامية ، بيروت ، وبشرح تحفة الأحوذي .
ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار إحياء السنة النبوية .

ـ سنن ابن ماجه ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ السنن الكبرى ، للإمام النسائي ، ت الدكتور عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية .
ـ سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ، ط مؤسسة الرسالة .
ـ السير والمغازي ، لابن إسحٰق ، ت د. سهيل زكار ، نشر دار الفكر .
ـ السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، لبرهان الدين الحلبي ، القاهرة .
ـ السيرة النبوية ، لابن حبان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ السيرة النبوية ، لابن كثير ، ت مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة .
ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الروض الأنف ، توزيع الباز ، مكة المكرمة .
ـ شبهات حول السنة ودحضها ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ شرح الأُبِّي على صحيح مسلم ، مع شرح السنوسي .
ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ شرح السنوسي على صحيح مسلم ، مع شرح الأُبِّي .
ـ شرح صحيح مسلم للإمام النووي ، ط مطبعة حجازي ، القاهرة .
ـ شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي .
ـ شرح الكرماني على صحيح البخاري ، الطبعة البهية المصرية .
ـ الشفا ، للقاضي عياض ، ت البجاوي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، ت سيد الجليمي ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ شمائل الرسول الأمين ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ صحيح ابن حبان = الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ت كمال يوسف الحوت ، ورجعت إلى طبعة مؤسسة الرسالة .
ـ صحيح ابن خزيمة ، ت الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي .
ـ صحيح الإمام البخاري ، بشرح فتح الباري ، ط السلفية ، القاهرة ، ونسخة اسطنبول .

ـ صحيح مسلم ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت الدكتور إحسان عباس ، ط دار صادر ، بيروت .
ـ طبقات المحدثين بأصبهان ، لأبي الشيخ ، ت عبد الغفور البلوشي ، مؤسسة الرسالة .
ـ عشرة النساء ، للنسائي ، ت عمرو علي عمر ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة ، الطبعة العاشرة .
ـ عمدة الحفاظ ، للسمين الحلبي ، ت محمود السيد الدغيم ، دار السيد للنشر .
ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للإمام العيني ، تصوير عن الطبعة المنيرية .
ـ عمل اليوم والليلة ، للإمام النسائي ، ت د. فاروق حمادة ، الرباط .
ـ عون الباري ، لصديق حسن خان ، دار الرشيد ، حلب .
ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لشمس الحق العظيم آبادي ، نشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
ـ عيون الأثر ، لابن سيد الناس ، دار المعرفة ، بيروت .
ـ غرائب التفسير ، للكرماني ، ت د. شمران العجلي ، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
ـ غريب الحديث ، لابن الجوزي ، ت د. عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ غريب الحديث ، لابن قتيبة ، ت د. عبد الله الجبوري ، نشر وزارة الأوقاف ، بغداد .
ـ الفائق ، للزمخشري ، ط عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر ، المكتبة السلفية ، القاهرة .
ـ فتح البيان في مقاصد القرآن ، لصديق حسن خان ، مراجعة الشيخ عبد الله الأنصاري ، المكتبة العصرية ، صيدا .
ـ فتح القدير ، للشوكاني ، دار الفكر .
ـ فتح الملهم شرح صحيح مسلم ، للشيخ شبير أحمد العثماني ، نشر مكتبة الحجاز ، باكستان .
ـ الفتوحات الإلهية = حاشية الجمل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ فضائل الصحابة ، للإمام النسائي ، ت الدكتور فاروق حمادة ، نشر دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب .

ـ فضائل القرآن ، لأبي عبيد ، ت مروان العطية ومحسن الخرابة ، دار ابن كثير ، دمشق .
ـ فضائل القرآن ، للإمام ابن كثير الدمشقي ، ت الحويني ، نشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
ـ فضل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل ، ت الشيخ محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي .
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للحافظ المناوي ، ط القاهرة .
ـ القاموس المحيط ، للفيروزأبادي ، مطبعة السعادة ، مصر .
ـ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، للحافظ السيوطي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ﷺ ، للحافظ السخاوي ، دار الكتاب العربي .
ـ كتاب التسهيل ، لابن جزي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
ـ كتاب الغريبين ، لأبي عبيد الهروي ، ط لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .
ـ كتاب القرطين ، لابن قتيبة ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة .
ـ كتاب المصاحف لابن أبي داود ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الكشاف ، للزمخشري ، دار المعرفة .
ـ كشف الأستار بزوائد البزار ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة .
ـ كنز العمال ، للعلامة علي المتقي الهندي ، نشر مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .
ـ لباب التأويل في معنى التنزيل ، للخازن ، دار الفكر ، بيروت .
ـ لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
ـ المتفق والمفترق ، للخطيب البغدادي ، ت د. محمد صادق أيدن ، دار القادري ، دمشق .
ـ مجاز القرآن ، لأبي عبيد معمر بن المثنى ، ت د. محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي .
ـ مجمع بحار الأنوار ، للعلامة محمد طاهر الهندي ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي ، نشر دار الكتاب ، بيروت .
ـ المجموع المغيث ، لأبي موسى المديني ، ت عبد الكريم العزباوي ، جامعة أم القرى .
ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ، د. محمد حميد الله ، دار الإرشاد ، بيروت .
ـ المحرر الوجيز ، لابن عطية ، نشر وزارة الأوقاف ، المغرب .

ـ مختصر زوائد مسند البزار ، للحافظ ابن حجر ، ت صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، لملا علي القاري ، نشر المكتبة الإمدادية ، باكستان .
ـ المزهر في علوم اللغة ، للحافظ السيوطي ، ت علي البجاوي وآخرين ، دار التراث ، القاهرة .
ـ المستدرك ، للإمام الحاكم النيسابوري ، تصوير أمين دمج ، بيروت .
ـ مسند الإمام أحمد ، تصوير المكتب الإسلامي ، ودار صادر ، بيروت ، ورجعت إلى نسخة الشيخ أحمد شاكر .
ـ مسند البزار = البحر الزخار ، للإمام البزار ، ت د. محفوظ الرحمٰن زين الله ، نشر مكتبة العلوم والحكم ومؤسسة علوم القرآن .
ـ مسند الشاشي ، للهيثم بن كليب الشاشي ، ت د. محفوظ الرحمٰن زين الله ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
ـ مسند الطيالسي ، تصوير دار الكتاب اللبناني ، ودار التوفيق ، بيروت .
ـ مسند عبد بن حُميد = المنتخب ، ت السيد صبحي السامرائي ، مكتبة السنة .
ـ مشارق الأنوار ، للقاضي عياض ، ت البلعشمي أحمد يكن ، نشر وزارة الأوقاف ، المغرب .
ـ مصباح الزجاجة إلى زوائد ابن ماجه ، للإمام البوصيري ، ت محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية ، بيروت .
ـ المصباح المضيء ، لابن حديدة الأنصاري ، ت شرف الدين أحمد ، طبع وزارة المعارف ، الهند .
ـ مصنف ابن أبي شيبة ، نشر الدار السلفية ، الهند .
ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ـ النسخة المسندة ـ للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي .
ـ معالم السنن ، للإمام الخطابي ، ت الشيخ أحمد شاكر وحامد الفقي .
ـ معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ت الشيخ محمد علي الصابوني ، نشر جامعة أم القرى .
ـ معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ت د. عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب .
ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، ط بغداد .

ـ معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ت عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، إيران .
ـ المعرفة والتأريخ ، للإمام الفسوي ، ت الدكتور أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة .
ـ المعلم بفوائد مسلم ، للمازري ، ت الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، بيت الكلمة ، تونس .
ـ المغرب في اللغة ، للإمام المطرزي ، ت محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب .
ـ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصبهاني ، مكتبة الأنجلو المصرية .
ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، للإمام القرطبي ، ت محيي الدين مستو وآخرين ، نشر دار ابن كثير ، ودار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت .
ـ المقتطف ، لمصطفى المعصوري ، ت الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القلم ، دمشق .
ـ مقدمة تفسير الطبري ، ت الشيخ محمود شاكر ، دار المعارف ، مصر .
ـ نشأة علوم الحديث ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ نظم السيرة النبوية للحافظ العراقي بشرح المناوي = العجالة السنية ، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري ، الرياض .
ـ النظم المتناثر في الحديث المتواتر ، السيد محمد بن جعفر الكتاني ، تصوير دار الكتب العلمية ، عن الطبعة المغربية .
ـ النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير الجزري ، ت د. محمود الطناحي والأستاذ طاهر الزاوي .
ـ النهر الماد ، لأبي حيان ، بحاشية البحر المحيط له .
ـ هدي الساري ، للحافظ ابن حجر ، تصحيح محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
ـ الوسائل إلى مسامرة الأوائل ، للحافظ السيوطي ، ت محمد بسيوني زغلول ، دار الباز ، مكة المكرمة .



فهرس الرسالة

☆☆☆☆☆

قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة العاشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة ، بجدة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، والرد على منكريها ، نشر دار القبلة .

١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . طبع مطابع الرشيد .

١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).

٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثانية . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).

٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).
٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ (تحت الطبع).
٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).
٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ وبين المدينة المنورة) نشر دار القبلة .
٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٢٨ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).
٢٩ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .
٣٠ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .
٣١ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .
٣٢ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
٣٣ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).
٣٤ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٥ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٦ ، ٣٧ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).
٣٨ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .
٣٩ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض .
٤٠ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).
٤١ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٢ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .

٤٣ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .

٤٤ ـ شرح أربعين حديثاً ـ مكتوب على الآلة الكاتبة .

٤٥ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .

٤٦ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق (تحت الطبع).

٤٧ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٤٨ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة .

٤٩ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .

٥٠ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).

٥١ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة .

٥٢ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

٥٣ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٥٤ ـ الحديث المتواتر .

٥٥ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .

٥٦ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .

٥٧ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٥٨ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٥٩ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٠ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٦١ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٦٢ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٦٣ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ بين الإنسان والجماد :

٦٤ ـ الإدراك عند الجمادات .

٦٥ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٦٦ ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٦٧ ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ز ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٦٨ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٦٩ ـ حقوق الزوجين .

٧٠ ـ المرأة في القرآن .

٧١ ـ الإحسان في القرآن .

٧٢ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ، ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٧٣ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٧٤ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

ح ـ الفتن وأشراط الساعة :

٧٥ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة .

٧٦ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٧٧ ـ أشراط الساعة .

٧٨ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٧٩ ـ أخبار الدجال .

٨٠ ـ الردة قديمها وحديثها .

٨١ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

☆☆☆☆☆